الإيمان بالملائكة

عليهم السلام

صفاتهم – أصنافهم – وظائفهم – مواقفهم

ومعه بحث مختصر حول عالم الجن

بقلم

الإمام المفسر المحدث الشيخ
عبد الله سراج الدين الحسيني
رضي الله عنه

بسم الهم الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد،فإن عالم الملائكة هو أمر حق،يجب الاعتقاد بوجودهم و الإيمان بصفاتهم،فقد جاء ذكرهم في مناسبات متعددة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم،وجميع تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدل دلالة قاطعة على حقيّة وجود الملائكة،بمعنى أنهم ذوات موجودة،متصفة بصفات حميدة،وأعمال رشيدة،وأقوال سديدة،كما سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى.

وإن الملائكة عليهم السلام ليسوا ضرباً من الأوهام،ولا نوعاً من تخيّلات الأحلام.كما أنهم ليسوا عقولاً مجردة،ولا معاني النفوس البشرية السعيدة المسعدة،وإنما هم عالم حقيقي الوجود،غيبي عن العيان المشهود، أكرمهم الله تعالى وشرفهم بالنفسيات الطاهرة الزكية،والصفات القدسية،فهم كرام بررة،أنقياء طهرة،يتقلبون في أعمال الصلاح والخير،وينفرون من الفساد والشر، عصمهم الله تعالى بعصمته،ووجههم نحو عبادته وطاعته؛ يسبحون الليل والنهار لا يفترون،ولا يعصون ما أمرهم الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون.

وقد كلفّ الله تعالى عباده أن يؤمنوا بهم فذكرهم سبحانه في جملة العقائد الإيمانية التي لقّنها سبحانه لعباده بقوله:((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله....)) الآية.

وذلك بعد أن عرّف سبحانه عباده في كثير من الآيات القرآنية بأوصاف

الملائكة وأصنافهم،وأعمالهم ووظائفهم المرتبطة بالأكوان عامة،وبالإنسان خاصة،كما يتضح ذلك جليا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

فلم يكن وجوب الإيمان بالملائكة،من باب إلزام الإيمان بما لا يلزم،أو التعريف بعالم لا صلة للإنسان به ولا ارتباط له معه ولا فائدة له بالإطلاع والتعرف عليه!كلا ثم كلا..بل إن في الإيمان بالملائكة عليهم السلام والتعرف على أوصافهم ووظائفهم وأعمالهم ووجوه ارتباطهم بالأكوان والإنسان،ووجوه تدابيرهم وتصرفاتهم في ذلك كما هو مقتضى مشيئة الله تعالى وحكمته وإذنه لهم في ذلك وأمره لهم بذلك- إن في ذلك لوجوهاً من الحكم والعبر ، لذوي العقول والنظر . نذكر أطرافاً منها موجزة:

أولا- أن يعلم الإنسان سعة علم الله تعالى وعظيم قدرته وبديع حكمته،وذلك أنه سبحانه خلق ملائكة كراماً لا يحصيهم الإنسان كثرة ولا يبلغهم قوة، أعطاهم الله تعالى قوة التشكل بأشكال مختلفة حسبما تقتضيه مناسبات الحالات.

ولا ينبغي للعاقل أن يرتاب في ذلك بعد ما ثبت في الكتاب والسنة، واستسلم له العقل الصحيح وأقرّ بإمكانه ووقوعه،إذ لا يستطيع العقل أن يحيل ذلك أو يبطل إمكان وقوعه مهما حاول إلى ذلك سبيلاً .

وأما قول من ينكر ما وراء المادة:كيف يثبت وجود شيء دون أن تراه العين أو تسمعه الأذن أو تحسه اليد؟فهذا قول مردود،لأن إثبات وجود الموجود لا يتوقف على الوجدان ولا على رؤية العيان،فإن كثيراً من الكائنات هي قطعية الوجود دون أن تكون في الشهود،ولكن ثبت وجودها بآثارها الدالة عليها . فهذه الأرواح المدبّرة للأشباح،وهذه العقول المدبرة للأجسام بإحكام ونظام، وهذا الهواء الذي ملأ الفراغ والفضاء،هي كائنات موجودات قطعاً مع أنها لا ترى بالعيان.

ولكن آثار الروح في حياة الجسم وحركته دليل وجودها وقبل أن تنفخ فيه وبعد أن تنزع منه لا حياة في الجسم ولا حراك له وإن إحكام كلام العاقل وحسن تصرفه في أفعاله دليل وجود عقله.وإن خلط كلام المجانين وسوء تصرفاتهم في أمورهم دليل فقدان عقولهم . وإن شعور الإنسان بعوارض الهواء من الحر والقرّ وتحرّك الأشجار وإثارة الغبار وتموج البحار وما يحمله الهواء من كائنات دقيقة صغيرة الحجم بحيث لا ترى إلا بالمكبرات، كل ذلك يدل على أن الهواء موجود قطعاً وإن كانت العين لا ترى ذات الهواء للطافته وإنما ترى آثاره وتشعر بعوارضه.

قال الله تعالى:((يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها،وكان الله بما تعملون بصيرا))وهذه الجنود هي ملائكة الله تعالى التي نزلت يوم الأحزاب،فزلزلت قلوب المشركين وأرتهم ألوان الأفاعيل،وأنزلت فيهم المخاوف والتهاويل حتى انهزموا وولوا مدبرين في ظلمة الليل البهيم .

وقال تعالى في يوم حنين:((وأنزل جنودا لم تروها،وعذّب الذين كفروا،وذلك جزاء الكافرين))فبيّن سبحانه أنه أنزل ملائكة لم تر العين ذاتهم،ولكن رأت آثارهم وأفعالهم وتنكيلهم بأعداء الله تعالى وتشتيتهم وتعذيبهم وتشريدهم .

ثانيا:أن يعلم الإنسان أن الله تعالى خلق ملائكة أنقياء أقوياء ، أذن لهم في تدابير المكونات بأمره تعالى إظهاراً لسلطان ربوبيته وعظمة ملكه ، وأنه الملك المليك الذي تصدر عنه الأوامر العلوية،وأن الملائكة الكرام يتلقونها وينفذون أحكامها ومقتضياتها،ويدبرون الأمور وفق ما رسم، كما قال تعالى :((فالمدبرات أمرا))ويقسمونها وفق ما حكم،فهو سبحانه له التدبير المطلق قال تعالى:((وأمن يدبر الأمر،فسيقولون الله))وله سبحانه الأمر الطلق قال

تعالى:((ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)).فمن الملائكة عليهم السلام من هم موكلون بتطويرالنطفة في الأرحام وتصويرها ثم نفخ الروح في الجنين، وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته،ومنهم الكرام الكاتبون. يكتبون على المكلّف أعماله الصادرة عنه وأقواله، ليجزى بها يوم القيامة ومنهم المعقبات الحفظة،يحفظونه من أمر الله تعالى بذلك،ومنهم القرناء بابن آدم يدلونه على الخير ويحذرّونه من الشر،ومنهم الموكلون بحضور مجالس الصلوات لله تعالى،ومنهم الموكلون بحضور مجالس القرآن الكريم وأنواع الذكر و العبادات،ومنهم الموكلون بحضور مجالس الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وتبليغها له صلى الله عليه وسلم مع التسليمات ، ومنهم المؤمّنون على الدعوات،ومنهم الداعون لابن آدم،ومنهم المستغفرون له، ومنهم الرافعون أعماله الصالحة وأقواله الطيبة إلى رب العزة،ومنهم ملائكة الهمم واللمم،ومنهم ومنهم...إلى سائر ما هنالك من أصناف الملائكة عليهم السلام وأنواع ارتباطاتهم ومواقفهم من الإنسان وبقية الأكوان،كما ثبت ذلك كله في الكتاب والسنة،وسنفصله في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن هنا يعلم الإنسان ماذا يجب عليه تجاه مواقف الملائكة معه ومناط وظائفهم المتعلقة به ، فيرعاها حقها ويعمل بمقتضياتها و مواجبها .

وخذ مثالا على ذلك أن الإنسان إذا علم أن عليه ملكاً رقيباً يراقبه،عتيداً حاضر العتاد لا يتركه،متلقيا عنه ما يصدر منه،فعليه أن يحسن الإلقاء و الإملاء لهذا الملك المتلقي عنه والمستملي منه الذي يدوّن على الإنسان كتابه ويجمعه،ثم يبسطه له يوم القيامة وينشره ليقرأه،قال تعالى:((اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)).

وهكذا ينبغي للإنسان أن يراعي جميع مواقف الملائكة معه المتعلقة بأموره

الدينية وأفعاله الاختيارية.

ثالثا:أن يعلم الإنسان أن لله تعالى ملائكة كراماً بررة جعلهم سبحانه وسطاء سفرة بينه وبين أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم . قال تعالى:((بأيدي سفرة كرام بررة))وقال جل وعلا:((ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من

يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون))وفي ذلك بيان وإعلان وتنويه وتنبيه إلى عظم النبوة والرسالة ، ورفعة منزلة الشرائع الإلهية ، و شرف العلوم الربانية الموحاة إلى الأنبياء والمرسلين،وأن شرائع الله تعالى مجيدة علياء ، كريمة غراء ، لأن الذي شرعها هو العليم الحكيم،أحكم لهم أحكامها، ووضع لهم نظامها على وجه يضمن مصالح العباد وسعادتهم ، وعزتهم الإنسانية ، و كرامتهم الآدمية،فإنه سبحانه هو أعلم بهم وبما يصلح شأنهم، إذ أنشأهم من الأرض وطوّرهم وصورهّم .

فحق للشرائع الإلهية ، العلية القدسية ، وحكمة أحكامها ، وبديع انتظامها أن تتنزّل بها أشراف الملائكة وساداتها،على أشراف الخليقة الإنسانية وساداتها أنبياء الله تعالى ورسله صلوات الله تعالى وسلامه على إمامهم وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد وراية المجد ، وعليهم أجمعين .

هذا وإن موضوع البحث في الملائكة عليهم السلام هو موضوع واسع جداً ،وقد اقتصرت في هذا الكتاب الذي جاء على عجالة من أمره،على جمل من القول ، وأطراف من المسائل المهمة المتعلقة بالملائكة عليهم السلام، لعلها تفي ببعض المراد من الموضوع ، والله تعالى ولي التوفيق .

وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى معلما لعباده مجمل الواجبات الإعتقادية،وملقنّا لهم جملة

الأصول الإيمانية،ومبينا لهم ما يجب عليهم تجاه أوامره الشرعية من السمع والطاعة لأنها جاءت وفق ما أعطي العبد من قدرة واستطاعة فقال سبحانه: ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته و كتبه ورسله،لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا،غفرانك ربنا و إليك المصير.لا يكلف الله نفساً إلا وسعها،لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)) الآية.

قال المحققون من أهل العلم والمعرفة : إن هذه الآية الكريمة هي فزلكة جامعة لما فصّل قبلها من العقائد الإيمانية والأعمال التكليفية ، فجاءت هذه الآية مبينة لما يجب على المكلف أن يعرفه ويؤمن به، وكيف يجب أن يكون المكلف مع أمر الله تعالى ،وذلك بأن يقف مع العقائد الإيمانية موقف الإيمان الجازم ، دون شك ولا ارتياب ولا تردد ولا اضطراب ، ويقف مع الأوامر العملية موقف السمع والطاعة،والانقياد لموجبها،فقال تعالى:((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون)).

والمراد:بما أنزل إليه صلى الله عليه وسلم من الوحي القرآني والوحي النبوي ، قال تعالى:((وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة))،والحكمة هي السنة النبوية ، وإنما ابتدئ بذكره صلى الله عليه وسلم لأنه هو الأوجه والإمام فحق له أن يكون هو الوجه وله الأمام،عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم يأتي ذكر المؤمنين تابعين له سالكين سبيله ، جعلنا الهن منهم .

((كلّ آمن بالله))ومجمل الإيمان بالله تعالى هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى حقّ ، وأنه سبحانه متصف بالكمالات المطلقة التي لا نهاية لها ، منزّه عن الآفات والنقائص

ومعنى أن الله تعالى حق : أي هو واجب الوجود ، لا شك في وجوده ، وكيف يشك في وجوده سبحانه ومصنوعاته موجودة ، وآياته مشهودة ؟!

وإلى هذا نبّه الله تعالى العقلاء فقال:((أفي الله شك؟))، أي لا شك في وجوب وجوده ، بدليل أنه :((فاطر السموات والأرض)) يعني أن السموات والأرض وما احتوتا عليه موجودة مشهودة ، ولا قدرة لمخلوق على إيجادها ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنها قبل وجودها معدومة قطعا ، فمن هو الذي نقلها من العدم إلى الوجود ! فإن العدم لا ينشأ عنه وجود فلا بدّ من موجد ، قال تعالى: ((أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟!)) يعني أنهم شيء موجود فكيف يصح أن يوجدوا لا عن موجد بل عن عدم ؟! فإن ادّعوا أنهم خلقوا أنفسهم فذاك باطل حساً،و باطل عقلاً،لأنه يلزم منه أنهم قبل إيجادهم لأنفسهم كانت أنفسهم موجودة !! فلا بد وأن لهم موجداً أوجدهم ليس من أنفسهم ، ولا من جنسهم ، بل هو الله الخالق لكل شيء وليس كمثله شيء .

ومما يوضح ذلك ويثبت قطعاً أن الله تعالى هو حقّ - بمعنى أنه واجب الوجود - : أن هذه الموجودات الممكنة كانت مسبوقة بالعدم ثم وجدت ، فلا بد من موجد يرجح وجودها على عدمها ، فيخرجها من العدم الذي كانت فيه إلى حيّز الوجود الذي صارت فيه ، ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنه يلزم من ذلك ترجح وجودها على عدمها الذي كانت فيه بلا مرجح ؛وهذا باطل لدى جميع الموازين العقلية ، كما أنه يستحيل ترجح إحدى الكفتين المحسوستين بلا مرجح لدى جميع الموازين الحسية المادية ،لأنه إذا كان ثمة كفتا ميزان متساويتان تماما فإنهما تكونان متعادلتين ،ولا يمكن أن ترجح إحداهما على الأخرى إلا بمرجح من المثقلات أو ضغطة هواء ونحو ذلك .

وهكذا الوجود والعدم بالنسبة للممكنات قبل وجودها ، فإنها على حد سواء ، لا يمكن أن يترّجح وجود الممكن على عدمه إلا بمرجّح ، فالذي رجح

وجودها على عدمها بإرادته هذا هو الله الخلاق العليم الذي قال :((إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)) .

((كلّ آمن بالله وملائكته)) ، ومجمل الإيمان بالملائكة هو :

الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى خلق عالما أسماه بالملائكة ، وهم:أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية ، قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة ، بإذن الله تعالى . كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالى .

((كل آمن بالله وملائكته وكتبه)) ومجمل الإيمان بكتب الله تعالى هو :

الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله عليهم صلوات الله تعالى ، كتبا مشتملة على هدي العباد ، وبيان ما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، وما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، كما أن فيها بيان سبل السعادة والرشاد إلى ما فيه خير البلاد والعباد . وإنزال هذه الكتب الإلهية بتلك الحكم البالغة والحجج الدامغة والبراهين الساطعة اللامعة ، ذلك مقتضى حكمة رب العالمين ، وأنه الملك الحق المبين . يتعهّد عباده بالإسعاد والإرشاد ، ويحسن تربيتهم بإنزال التعاليم الإلهية والأنظمة الشرعية والتوجيهات الأدبية الخلقية ، ليفوزوا بالسعادات الأبدية.

قال تعالى :((أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ؟! فتعالى الله الملك الحقّ)) الآية. وقال تعالى :((كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد))،فمن أنكر كتب الله تعالى وكذب بها فما عرف الله العليم الحكيم ، ولا عرف قدر رب العالمين .قال تعالى :((وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيئ ..)) الآية ، نزلت فيمن أنكر نزول الكتب الإلهية وما حوت من السعادات البشرية .

هذا ، وإن الإيمان بكتب الله تعالى المذكورة في الآية يشمل أيضاً الإيمان

بكتب الله تعالى القضائية القدرية ، وهي الكتب التي سطرت فيها جميع الحادثات الكونية والقضايا الخلقية . قال تعالى: ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير)) ، ويشير إلى هذا قوله تعالى في الإخبار عن السيدة مريم :((وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)).

وبهذا تكون هذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى :((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ....)) الآية ، قد اشتملت على العقائد الإيمانية الستة المذكورة في حديث جبريل عليه السلام ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره .فالإيمان بالقدر داخل في الإيمان بكتب الله القضائية . والإيمان باليوم الآخر داخل في قوله تعالى :((غفرانك ربنا وإليك المصير)) .

((كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)) ومجمل الإيمان بالرسل صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدلهم على خير في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ويحذرهم من كل شر في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره - المواشي ونحوها - إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الصلاة جامعة)) فاجتمعنا إليه صلى الله عليه وسلم فقال :((إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء شديد وأمور تنكرونها ، فتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً ، فيقول المؤمن

هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه . فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه)).

وأما تفاصيل الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله فكل منها يحتاج إلى كتاب خاص .

وكما أن الله تعالى لقنّ عباده جوامع عقائده الإيمانية ، وأجملها لهم في آخر سورة البقرة ، كذلك لقنّهم سبحانه إياها عن طريق الوحي النبوي إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة أعرابي يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن مجامع أمور الدين وكليّاتها:الإسلام المتعلق بالأمور الظاهرة ، والإيمان المتعلق بالعقائد القلبية والإحسان المتعلق بالأحكام القلبية ، وقضايا الساعة وأشراطها ، ليكونوا على بينة من أمرها ويأخذوا حذرهم منها ، لأنها سوف تدرك هذه الأمة .

فما أحوج هذه الأمة إلى معرفة أمارات الساعة وأشراطها ! .

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :بينما نحن جلوس في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه - أي فخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم المتأدب . أو : على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية للنسائي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين ظهراني أصحابه،فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو صلى الله عليه وسلم حتى يسأل ،فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب أذا أتاه ، فبنينا له دكاناً - أي مرتفعاً - من طين فكان يجلس عليه .

وإنا لجلوس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً كأن ثيابه لم يمسّها دنس ، حتى سلم في طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم السلام . فقال : أدنو يا محمد ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ادنه .فما زال يقول :أدنو يا محمد ؟ مرارا ، ويقول له صلى الله عليه وسلم ادنه ، حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)) ، فقال - أي جبريل - صدقت . فقال عمر : فعجبنا له يسأله ويصدقه - يعني أن أمر هذا السائل عجيب ، فإن سؤاله يدل على عدم علمه بما يسأل عنه ، وقوله ((صدقت)) يدل على أن له سابقة علم بما يسأل عنه - قال: فأخبرني عن الإيمان ، فقال صلى الله عليه وسلم :((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره))، قال: صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان ،فقال صلى الله عليه وسلم ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك))- وفي رواية :((أن تخشى الله كأنك تراه...))- قال : فأخبرني عن الساعة ، فقال صلى الله عليه وسلم :((ما المسئول عنها بأعلم من السائل)). قال فأخبرني عن أماراتها - علاماتها - فقال صلى الله عليه وسلم :((أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة- الفقراء- رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)) .

ثم انطلق - أي جبريل - قال عمر :فلبثت مليا - وقتا طويلا - ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :((يا عمر أتدري من السائل ؟)) قلت: الله ورسوله أعلم . قال:((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) .

وقد نقل الإمام النووي عن القاضي عياض رحمهما الله تعالى أنه قال : أن هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشبعة منه . قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ، ألفّنا كتابنا الذي سميناه ب((المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان)) . إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة والله أعلم . ا ه .

ولما كان الإيمان بالملائكة عليهم السلام ركناً من أركان الإيمان لما تقدم ثبوت ذلك بنص الكتاب في الآية السابقة ، ونص السنة في الحديث المتقدم - كان إنكار وجود الملائكة عليهم السلام كفراً وضلالاً قال تعالى :((ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً)) .

حقيقة الملائكة عليهم السلام[1]

الملائكة عليهم السلام هم : أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية ، قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة بإذن الله تعالى ، لا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة . والدليل على أنهم أجسام لطيفة نورانية ما رواه مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((خلقت الملائكة

---

(1) الملائكة جمع ملأك ، على وزن شمائل جمع شمأل ، وهو مقلوب عن مألك ، مشتق من الأولوكة وهي الرسالة ، لأن الملائكة
عليهم السلام رسل الله تعالى في تبليغ أوامره أو تدبيرها أو تنفيذها أو نحو ذلك ، ثم جرى الخفيف على لفظ مألك فقيل ملك . وهناك توجيهات أخرى في الاشتقاق .

من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)).
فقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أصول العوالم الثلاثة :
الملائكة والجن والإنس ، وقدم ذكر الملائكة لأنهم أسبق في الوجود على الجن ، ثم الجن لأنهم خلقوا قبل الإنس . قال تعالى :((ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم)).
فالملائكة خلقت من نور ، وأما الجن خلق أبوهم الأول وهو الجان من نار السموم . قال تعالى :((وخلق الجان من مارج من نار))أي من نار مخلوطة بهواء ، كما قاله المحققون ، والمعنى أنهم خلقوا من عنصرين مختلطين : النار والهواء .
وأما أبو البشر وهو آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فإنه خلق كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب العزيز حسب المناسبات الحكيمة ، فأخبر سبحانه في موضع أنه خلق من تراب ، قال تعالى :((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)) الآية ، إشارة إلى المبدأ الأول ، وفي موضع آخر أخبر أنه خلقه من طين ، قال تعالى :((وبدأ خلق الإنسان من طين)) إشارة إلى الجمع بين التراب والماء.وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من طين لازب ، قال تعالى :((إنا خلقناهم من طين لازب)) إشارة إلى الطين المستقر على حالة من الاعتدال ليصلح لقبول التصوير .
وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، إشارة إلى يبسه وسماع صلصلة منه ، وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال كالفخار ، قال تعالى :((خلق الإنسان من صلصال كالفخار)) . ثم نبّه سبحانه على تكميل هذا الإنسان بنفخ الروح فيه ، فقال سبحانه :((فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) فأمر الملائكة بالسجود له بعد نفخ الروح فيه ، فافهم . ثم نبّه سبحانه على تكميل نفس هذا الإنسان

بالعلوم والمعارف والآداب ، فقال تعالى :((وعلم آدم الأسماء كلها))الآية .

قال الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه : وإنما قال صلى الله عليه وسلم :((وخلق آدم مما وصف لكم)) ولم يقل كما قال قبله- أي في الملائكة

والجن- طيّا للاختصار ، لأنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم، وهذا منها ، إذ الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجان ، وأما الإنسان فاختلف خلقه على أربعة أنواع ، فخلق آدم لا يشبه خلق حوّاء ،وخلق حوّاء لا يشبه خلق آدم عليه السلام ،وخلق عيسى عليه السلام لا يشبه خلق الكل- أي لا يشبه خلق آدم ولا حوّاء ولا

خلق ذريتهما - فأحال صلى الله عليه وسلم على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان . ا ه .

ثم إن الجن والإنس تشملهما صفة الذكورة والأنوثة ، ويجري بينهم التناكح والتناسل ، وأما الملائكة عليهم السلام فلا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فإنهم نوع من خلق الله تعالى وعباد من عباده مغايرون لنوع الإنس والجن . قال تعالى ردّا على المشركين الذين حكموا على الملائكة بالأنوثة :((وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً . أشهدوا خلقهم ؟! ستكتب شهادتهم و يسألون)) .

ومن ثم نص العلماء في كتب العقائد على كفر من قال بأنوثة الملائكة لمعارضة صريح النص القرآني ، كما نصوّا على التبديع المفسق لمن قال بذكورتهم .

تمثّلات الملائكة عليهم السلام

لقد أعطى الله تعالى الملائكة عليهم السلام قوة التشكل بأشكال مختلفة ، حسب المناسبات التي تقتضيها الحالات التي يذهبون فيها بأمر الله تعالى .

قال الله تعالى مخبراً عن مريم عليها السلام :((فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سوياً)) ، فجاءها جبريل عليه السلام بصورة بشر سويّ الخلق كامل البنية ، يبشرها بغلام زكي النفس نامي الخير برّ الوالدة . قيل أن جبريل عليه السلام جاءها على الصورة التي سيخلق عليها عيسى عليه السلام ، لتكون صورة عيسى الخلقية على الصورة المثالية التي جاء بها جبريل عليه السلام .

ومن تمثّلات الملائكة حسب المناسبة ، ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله :((هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام ،قوم منكرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقرّبه إليهم ألا تأكلون ؟. فأوجس منهم خيفة . قالوا لا تخف ، وبشروه بغلام عليم)).

ورد أن جبريل وميكائيل وإسرافيل- ويروى معهم غيرهم- جاءوا إلى خليل الرحمن إبراهيم على نبينا وعليهم الصلاة السلام ضيوفاً ، في صور رجال حسان شبان عليهم المهابة والوقار ، فقالوا : سلاماً- أي نسلم عليك سلاماً- فقال:سلام- أي عليكم سلام دائم - فحيّاهم بأحسن من تحيتهم كما أمر الله تعالى بذلك ، لأن تحيته كانت بجملة اسمية دالة على الثبوت والدوام .

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على وجوه الثناء من الله تعالى على خليله إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ووجوه آداب الضيافة الكريمة .

أولاً: قوله((سلام))بالرفع ، وهم سلمّوا عليه بقولهم ((سلاماً))بالنصب. والمرفوع أكمل ، لدلالته على التجدد والثبوت .

ثانياً: قوله((قوم منكرون))فإنهم لما دخلوا عليه ولم يعرفهم لأول وهلة احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف ، فلم يقل أنتم قوم منكرون بل حذف المبتدأ ، وهذا ألطف في الكلام والمواجهة .

ثالثاً: لم يقل إني أنكركم بل قال((قوم منكرون))،فكأنه يعّرض بأن أهل

المجلس الذين هم عنده من قبل ، لا يعرفون هؤلاء الداخلين من الضيوف، وفي هذا التعبير بعد عن المواجهة الخشنة ، وهذا مبني على أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرف في بادئ دخولهم أنهم ملائكة ،وقال بعض علماء السلف بل قد عرفهم الخليل أنهم ملائكة الله تعالى وإنما عرّض بمن عنده حيث لم يعرفوهم .

رابعاً: أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بنزلهم ، والروغان هو الذهاب في خفاء ، بحيث يكاد أن لا يدري به ، وهذا من كرم المضيف وذلك بأن يذهب ليأتي بالضيافة بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه ويستحيي .

خامساً: ذهب إلى أهله وجاء بالضيافة ، فدل ذلك على أنه عليه السلام كان معد الضيافة للضيفان ومهيئاً لهم ، ولم يحتج إلى أن يذهب فيشتري أو يستقرض ويهيئ لهم .

سادساً: قوله تعالى ((فجاء بعجل سمين))يدل على خدمته عليه السلام للضيف بنفسه ، ولم يقل فأمر لهم ، بل ذهب بنفسه وجاء بالضيافة ، ولم يبعث خادماً ، وهذا أبلغ في الإكرام .

سابعاً: إنه عليه السلام جاء بعجل كامل ولم يأت ببعض منه ، وفي هذا تمام الكرام .

ثامناً: إنه عليه السلام قدم عجلاً سميناً ليس بالهزيل وهو من أفخر الأموال التي تقتنى ،فآثر به الضيفان .

تاسعاً: إنه قربه إليهم بنفسه ولم يقربهم إليه ، وهذا أبلغ في الإكرام للضيفان .

عاشراً: إنه عليه السلام قال:((ألا تأكلون))وهذا عرض وتلطف بالقول، وهذا أحسن من قوله كلوا ونحو ذلك ، ونظيره قول المضيف : بسم الله . أو ألا تجبرنا ؟ ونحو ذلك من العبارات التي يوجهها المضيف لضيفه

تلطفا به وتكريما له .

ومن تمثلات الملائكة عليهم السلام ما ثبت في الصحاح أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بصورة رجل أعرابي حسن المنظر، وكثيرا ما كان يتمثل له بصورة دحية بن خليفة ، حيث كان جميل الصورة حسن الهيئة.

فمن تمثله عليه السلام بصورة رجل : ما ورد في الصحيحين - واللفظ للبخاري- عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليّ - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصدّ عرقاً . والكلام على الوحي في مثل صلصلة الجرس وبقية أنواع الوحي يأتي في غير هذا الكتاب .

ومن تمثلاته بصورة أعرابي ما ورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... الحديث كما تقدم .

فاقتضت الحالة التي جاء فيها أن يتمثل بصورة أعرابي غير معروف ، ليراه الصحابة ويسمعوا سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم وليسمعوا جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم له عن أمور دينهم ، ويتعلموها عن طريق السؤال والجواب ، لتنزل في قلوبهم وترتسم في ذاكرتهم .

وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بصور حسب المناسبة التي اقتضتها تلك الحالة . فجاء يوم بني قريظة بصورة محارب

عليه السلام كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل - تنظفاً من آثار السفر- أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه - أي نحن الملائكة لم نضع السلاح- وعند ابن سعد ولم تضع السلاح ملائكة الله تعالى ، اخرج إليهم . فقال صلى الله عليه وسلم :((إلى أين ؟)) فقال وأشار إلى بني قريظة ، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم .

وعند الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سلمّ علينا رجل ونحن في البيت فقام صلى الله عليه وسلم :((هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة)) قالت عائشة : فكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام .

وعند البخاري : وهو - أي جبريل - ينفض رأسه من الغبار وقال أنس رضي الله عنه - كما في البخاري - :وكأني أنظر إلى الغبار في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار إلى بني قريظة .

وعند ابن سعد : فذهب جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار .

ومن هنا يعلم أن تمثلات الملائكة عليهم السلام تكون على مقتضى الحالات التي يأتون بها كما أمرهم الله تعالى .

ومن ذلك تمثل الملك بصورة أبرص ثم بصورة أقرع ثم بصورة أعمى ، حيث أرسله الله تعالى يمتحن الذي كان أبرص والذي كان أقرع والذي كان أعمى ، ثم أكرمهم الله تعالى بحسن الحال والصحة والكمال فجاء الملك يختبرهم : أيشكرون نعمة الله تعالى عليهم ويعرفونها ويؤدونها حقها ، أم يكفرون ويجحدون نعمة الله عليهم ؟ .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى أراد الله تعالى أن يبتليهم - أي يختبرهم - فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال له : أي شيئ أحب إليك ؟ فقال : لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس . قال : فمسحه الملك ،فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . فقال له الملك : وأي المال أحب إليك ؟ فقال : الإبل ، فأعطاه ناقة عشراء، وقال : بارك الله لك فيها .

وأتى - الملك - الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ فقال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس . فمسحه- أي الملك- فذهب وأعطي شعراً حسناً . فقال الملك : فأي المال أحب إليك ؟ فقال : البقر ، فأعطاه بقرة حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها .

وأتى - أي الملك- الأعمى ، فقال له : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يرد الله عليّ بصري فأبصر به الناس ، قال فمسحه الملك ،فرد الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ،فأعطاه شاة والداً ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من إبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من غنم .

ثم إنه- أي الملك- أتى الأبرص في صورته- أي في صورة الأبرص حين كان أبرص - وهيئته ، فقال - الملك- له:رجل مسكين انقطعت به الحبال- أي أسباب الرزق في سفره - فلا بلاغ له اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به- أي أتوصل به إلى مرادي - في سفري، فقال له الأبرص:إن الحقوق كثيرة. فقال له - الملك

كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله تعالى ؟فقال الأبرص: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر - أي كبيراً عن كبير في

العز والشرف- فقال له الملك: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته ،فقال له مثل ما قال للأبرص ، فرد عليه الأقرع مثل ما رد عليه الأبرص ،فقال له الملك :إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال له:رجل مسكين وابن سبيل،انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ،أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري .فقال له الأعمى :قد كنت أعمى فرد الله تعالى عليّ بصري وفقيراً فقد أغناني ، فخذ ما شئت فو الله لا أجهدك[1] بشيء أخذته لله- أي لا أشق عليك في رد شيء- فقال :أمسك مالك ،فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك)) .

وهذه التمثلات الملكية هي من باب التظاهر في مثال صوري مناسب للحال الذي جاء الملك فيها .وهذا المثال له أحكامه الخاصة، فلا يلزم من تمثل الملك بصورة بشر أن تناله الأحكام البشرية من الطعام والشراب ونحوهما، ولذلك لما تمثلت الملائكة بصورة الرجال وجاءت إلى الخليل عليه الصلاة والسلام ضيوفاً وقدم لهم الطعام لم يتناولوا منه شيئا .

فهذا النوع من التمثل الملكي هو من أنواع عالم المثال ،كما أوضح ذلك الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه في مواضع متعددة من((الفتوحات)) ونحن نذكر هنا كلمات مختصرة عن عالم المثال وأدلة وجوده وبعض أحكامه فنقول :

عالم المثال

---

(1)يريد بذلك أن يعتذر عن الإعطاء والإعانة بمعاذير باطلة ،فيقول إن الحقوق عليّ كثيرة من جانب العيال والأقارب ،ومن هنالك،وهذا جواب الأشحاء إذا طلب منهم العطاء فيعتذرون بأن عليهم مطالبة وهم في ضائقة وشدة ،وكأن الملك يقول لهم اللهم آمين .

لقد ثبت في نصوص الكتاب والسنة أن هنالك عالماً برزخياً ، تتظاهر فيه الأرواح والمعاني والأعمال والأقوال ،أمثلة حسية تتناسب معها .ويسمى هذا العالم عند العارفين والعلماء المحققين ((عالم المثال))((وعالم الخيال المنفصل))لأنه غير مادي ولأنه جامع لمثال كل شيء .

فمن تمثلات الأرواح الملكية:ما ورد في قوله تعالى :((هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين))الآيات ،كما تقدم بيانها قريبا وقوله صلى الله عليه وسلم :((وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)).

فجميع ذلك من باب التمثلات الملكية في الأجسام المثالية .

وحكم هذا الجسم المثالي إذا تمثلت به الأرواح الملكية أنه يعتريه ما يعتري الأجسام العنصرية من العوارض الجسمية ، كالغبار وإصابة الجسم بآفة إذا أصيب بضربة ،غير أنه لا يأكل ولا يشرب .

يدل على ذلك ما ورد في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:((جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له : أجب ربك . قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ،قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني .قال فرد الله إليه عينه وقال:إرجع إلى عبدي - أي إلى موسى - فقل :الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور - ظهر ثور- فما توارت يدك من شعرة- أي ما وارته وسترته يدك من شعرة تحتها- فإنك تعيش بها سنة .فقال- موسى عليه السلام- :ثم مه ؟- أي ماذا يكون بعد ذلك- قال- ملك الموت- :ثم تموت .؟قال- موسى- :فالآن من قريب؛رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر))أي بالنسبة لموضعه عليه السلام أو بالنسبة لبيت المقدس ،وذلك ليتقرب من بيت الله تعالى المقدس الذي بارك الله تعالى حوله .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)) .

فهذا الحديث يدل على أن الصورة المثالية تتأثر بما تتأثر به الأجسام العنصرية من صدمة وضربة صائبة ونحو ذلك ، فقد أثرت لطمة موسى عليه السلام في الصورة المثالية التي جاءه بها ملك الموت .

وقد يشكل على بعض الناس ما فعله موسى بملك الموت عليهما السلام .

وقد أجيب عن ذلك بعدة أجوبة :

منها:أن نبي الله تعالى موسى عليه السلام يعلم بمقتضى نبوته أنه لن يقبض نبي حتى يخيره الله تعالى بين الدنيا والآخرة ،كما ورد في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت:كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح :((لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ،ثم يحيا أو يخير)) فلما نزل به - أي مرض- ورأيته على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال:((اللهم في الرفيق الأعلى))

قلت إذا لا يختارنا .قالت عائشة رضي الله عنها :وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صلى الله عليه وسلم صحيح- أي من أنه لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير - فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها :اللهم في

الرفيق الأعلى .

فهذا نبي الله موسى عليه السلام لما جاءه ملك الموت ملزماً له بقوله((أجب ربك))احتد منه موسى عليه السلام وغضب ، فكان ما كان ،ولكن لما جاء بعد ذلك مخيراً تلقاه بالترحيب والتلطف دون غضبة ولا تعنيف.

ومن الأجوبة أيضا:أن ملك الموت لما دخل على موسى عليه السلام بيته بصورة رجل ، لم يعلم موسى عليه السلام أته ملك الموت فصكّه- كما في

رواية البخاري- أي ضربه ، على أنه بشر دخل عليه بيته بدون إذنه ، فضربه تأديباً ففقأ عينه ، لا عن قصد منه لذلك .وهذا من باب ما ورد في الصحيحين- واللفظ للبخاري- عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص- وهو نصل السهم الطويل قال أنس فكأني أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه .وفي رواية سهل بن سعد : قال اطلع رجل من جحر في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به رأسه صلى الله عليه وسلم .فقال صلى الله عليه وسلم :((لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك .إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)).

وأما الحكمة في إرسال ملك الموت إلى موسى عليه السلام بذلك ثم يكون ما يكون ففي ذلك وجوه من الحكم ، منها:ما ذكره كثير من العلماء والعارفين أن ذلك من باب الاختيار والابتلاء لموسى عليه السلام ،كما اختبر الله تعالى وابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ،ولكن هذا الجواب مجمل يحتاج إلى تفصيل وبيان وجه ارتباط كل صورة من هذا الاختبار والابتلاء بمقام صاحبه المبتلى .ولولا مخافة الإطالة لبسطنا ذلك على وجه الذي بسطه العارفون ،ولكن فيما ذكرنا كفاية .

ثم أن الجسم المثالي هو كما قلنا لا يأكل ولا يشرب،لأنه ليس جسماً عنصرياً أو أرضياً.قال تعالى:((وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام،وما كانوا خالدين))أي:وما جعلنا أجساد الرسل أجساداً مثالية لا تأكل ولا تشرب وإنما هم أجساد ترابية تحتاج إلى الأكل والشرب،ومن ثم لما جاءت الملائكة عليهم السلام إلى خليل الرحمن على نبينا وعليه الصلاة والسلام رجالاً ضيوفاً وقدم لهم الطعام لم يتناولوا منه شيئاً .

وأما الدليل على أن الجسم المثالي تعتريه عوارض الغبار والعرق ونحو

وذلك فهذا كما ورد الحديث المتقدم عن عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة الخندق وكان بصورة دحية الكلبي فقال صلى الله عليه وسلم :((هذا جبريل يأمرني أذهب إلى بني قريظة))قالت عائشة رضي الله عنها :فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام

تمثلات المعاني بصور مثالية

أما تمثلات المعاني بصور مثالية ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((إقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ؛ اقرؤوا سورة البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ،اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة و تركها حسرة ولا يستطيعها البطلة)) .

وفي المسند عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال :الهص ورسوله أعلم .فرددها مرارا ثم قال أبي : آية الكرسي ، فقال صلى الله عليه وسلم :((ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش)) .

وأصل الحديث في مسلم .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن بريدة قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول:((تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة،وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة))قال ثم سكت ساعة ثم قال صلى الله عليه وسلم:((تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظّلان صاحبهما يوم القيامة ،كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ،وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب- أي

الضعيف- فيقول:هل تعرفني ؟ فيقول :ما أعرفك فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ،وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه ،والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما - أي بقيمتهما- أهل الدنيا ،فيقولان- أي والدا القارئ- :بم كسينا هذا ؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ،فهو في صعود مادام يقرأ هذا))أي وما دام يقرأ ترتيلاً .

ومن تمثلات المعاني: تمثل القرابة الرحمية وتعلقها بعرش الرحمن جل وعلا .

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت :هذا مقام العائذ بك من القطيعة .قال:نعم،أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟قالت بلى ،قال:فذاك لك .ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:اقرأوا إن شئتم((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)) .

ومن عالم المثال ظهور المغيبات التي هي في عالم الغيب في صور المحسوسات في عالم الشهادة . روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال:((أتدرون ما هذان الكتابان ؟)) فقلنا:لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي في يمينه- أي مشيرا للكتاب الذي في يمينه- :((هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ،ثم أجمل على آخرهم ،فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال صلى الله عليه وسلم للذي في شماله:

هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً))فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ففيم العمل يا رسول الله إن كان الأمر قد فرغ منه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أي عمل- أي وإن عمل أي قبل ذلك- وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل - أي قبل ذلك- ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي فعل- هكذا، فنبذهما- أي نبذ الكتابين- ثم قال :((فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير)) .

ففي هذا الدليل واضح على أن هذين الكتابين ليسا من العالم الشهودي ، إذ لو كانا كذلك لتلقاهما الصحابة حين نبذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتزاحموا عليهما ،ليتبينوا أمورهم وأمور آبائهم أهم في الجنة أم في النار ،ولكن حين نبذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم غابا عن الشهود وبقيا في غيبهما . ومما يدل على ذلك أيضا أعظم كتاب في هذا العالم لا يتسع لأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم ، كما أن أعظم كتاب من هذا العالم لا يتسع لأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم . قال الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه : ولو أخذ المخلوق يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه من هذين الكتابين ، لما قام بذلك ورق العالم ، فمن هنا تعرف كتابة الله تعالى من كتابة المخلوقين والفرق بينهما .ا ه .

تمثلات الأعمال

قال الله تعالى :((يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً . ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد)) .

وقال تعالى :((ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً)) .
فهو سبحانه يحضر للعباد أعمالهم التي صدرت منهم خيرا أو شرا فيجدونها حاضرة متمثلة بصورها:الحسنات بصورة حسنة نورانية،والسيئات بصورة سيئة ظلمانية . ولا يسوغ حمل ذلك على أنهم وجدوها مكتوبة في صحفهم لأنه سبحانه قال :((ووجدوا ما عملوا حاضراً)) ولم يقل سبحانه : ووجدوا ما عملوا مكتوباً أو مسطوراً ، فإن الكتابة عليهم لها حكم آخر وموقف آخر.
فالأعمال لها صورة مثالية يراها العباد كلهم في عالم القبر وعالم الحشر والحساب وما وراء ذلك من عوالم الآخرة .
أما تمثل الأعمال في عالم القبر فيدل على ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن الميت إذا وضع في قبره وإنه يسمع قرع نعالهم حين يولون مدبرين فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام:ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والأمر بالمعروف والإحسان إلى الناس : ما قبلي مدخل ...))
الحديث . قال المنذري : رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له .
وأما تمثل الأعمال يوم القيامة : ففي المسند عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة ، فيقول : إنك على خير ، فتجيء الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة ،فيقول إنك على خير ، ثم يجيء الصيام فيقول يارب أنا الصيام ، فيقول إنك على خير ، ثم تجيء الأعمال

- أي الحسنة- فيقول الله عز وجل وإنك على خير ،ثم يجيء الإسلام ...))
الحديث . قال ابن كثير : تفرد به أحمد .
ففي هذا الحديث دليل ظاهر على تمثل الأعمال في عالم القبر وموقف الأعمال الصالحة مع صاحبها موقف المدافع عنه المحافظ عليه .
وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((والصلاة نور ، والصدقة برهان)) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة فقال :((من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبيّ بن خلف)) . رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه وغيرهما .
وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً :((إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني ، وصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها)) .
فالصلاة تتمثل بصورة مثالية نورانية ، ويصعد بها إلى السماء وهناك تشفع بصاحبها عند رب العالمين .

تمثلات الأقوال

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)) . وقال صلى الله عليه وسلم :((والحمد لله تملأ الميزان)) .
وروى الترمذي وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتحميد

والتهليل والتكبير يتعاطفن- أي يجتمعن- حول العرش ، لهنّ دوي كدوي النحل يذكرّن بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له من يذكرّ به عند ربه !)) .

فللتسبيح والتحميد وسائر الأقوال التي يذكر الله تعالى بها ، لها صورة مثالية نورانية تجتمع إلى بعضها حول العرش وتشفع بصاحبها .

ومن ذلك تمثل القرآن يوم القيامة شفيعا بصاحبه ، كما تقدم في قول النبي صلى الله عليه وسلم :((إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ...)) الحديث .

ومن ذلك وقوف القرآن من الإنسان موقف الحجة أو عليه ،كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :((والقرآن حجة لك أو عليك)) يعني أن قرآن القارئ يأتي يوم القيامة حجة له إن عمل به ، وحجة عليه إن لم يعمل بموجبه .

ويوضح ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((يؤتى برجل يوم القيامة ويمثل له القرآن قد كان يضيع فرائضه ، ويتعدى حدوده ، ويخالف طاعته ويركب معاصيه ، فيقول : أي رب حملت آياتي بئس حامل : تعدى حدودي، وضيّع فرائضي، وترك طاعتي ، وركب معصيتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يكبّه على منخره- أي على وجهه- في النار .

((ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده- أي حدود القرآن- ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ،ويجتنب معصيته ،فيصير خصما دونه ، فيقول : أي رب حمّلت آياتي خير حامل : اتقّى حدودي ، وعمل بفرائضي واتبّع طاعتي واجتنب معصيتي ، فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ،

فيأخذ بيده فما يزال به حتى يكسوه حلة الإستبرق ، ويضع عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك[1])) .

ومن ذلك تمثل الموت يوم القيامة بصورة كبش ،روى الشيخان والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبّون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رأوه ،فيذبح بين الجنة والنار- وفي رواية : فيوقف على السور بين الجنة والنار ، فيضجع ويذبح- ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ :((وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر ..)) الآية .

تمثلات الأموال

روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((والصدقة برهان ...)) الحديث . يعني أن الصدقة يأتي يوم القيامة برهاناً لصاحبها على إسلامه ، وتشفع بصاحبها ، كما تقدم .

ومن ذلك تمثل المال الذي لا يزّكى به . فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مّثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع- أي حية كبيرة قد حلس شعرها من طول عمرها- حتى يطوّق به عنقه ، ثم قرأ- النبي صلى الله عليه وسلم - مصداقه من قوله تعالى :((ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو

قال في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدّلس ، وبقية رجاله ثقات .اهـ . ورواه ابن أبي شيبة وإبن الضريس ،كما في منتخب الكنز . وذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة)) الآية .
قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه واللفظ له والنسائي بإسناد صحيح وابن خزيمة في صحيحه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحّت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه ، وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها- ومن حقها حلبها يوم وردها- إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها- أي صاحبها- بقاع قرقر أو في ما كانت ،لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها[1]، وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولاها ردّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله فالبقر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها ، إلا كان يوم القيامة بطح بقاع قرقر أوفي ما كانت ، لا يفقد منها شيئاً ليس منها عقصاء- أي ملتوية القرن- ولاجلحاء- أي لا قرن لها- ولا عضباء- أي مكسورة القرن- فتنطحه بقرنها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها ردّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ..)) الحديث ، رواه البخاري ومسلم واللفظ له ،

القاع : المكان المستوي من الأرض ، والقرقر : هو الأملس .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((من آتاه الله مالا فلم يؤذ زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان ، يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهز متيه- يعني بشدقي مانع الزكاة- ثم يقول: أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا هذه الآية:((ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)) الآية . رواه البخاري ومسلم .

تمثلات أيام الدنيا يوم القيامة

عن أبي موسى رضي اله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((تحشر الأيام على هيئتها ، وتحشر الجمعة زهراء منيرة ، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى خدرها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضا ، وريحهم كالمسك يخوضون في جبال الكافور ، ينظر إليهم الثقلان- أي الجن والإنس- لا يطرفون تعجبا حتى يدخلوا الجنة ، لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون[1])) .

وبالجملة فإن عالم المثال هو عالم واسع السعة تتمثل فيه المحسوسات والمعنويات ، والأشباح والأرواح ، على اختلاف مراتبها . فتبارك الله رب العالمين .

عبادة الملائكة عليهم السلام وخشيتهم من الله تعالى

قال الله تعالى:((وله من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون- أي لا يتعبون ولا يملون- يسبحون الليل و

قال الحافظ المنذري في الترغيب : رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه وقال : إن صح الخبر ، فإن في النفس من هذا الإسناد شيئا . قال المنذري اسناده حسن وفي متنه غرابة ا ه .

النهار لايفترون)) .

فالملائكة عليهم السلام لا يعتريهم تعب عن عبادة الله تعالى ولا فتور عن تسبيحه سبحانه ، بل حياتهم هي طاعتهم لله تعالى وعبادتهم له وتسبيحهم وتحميدهم .

قال تعالى :((فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون)) . كما وأنهم يستغفرون لمن أذن الله تعالى أن يستغفروا له أهل الأرض ، قال تعالى :((والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، ألا هو الغفور الرحيم)) يعني أنه يجيب استغفار الملائكة لمن في الأرض ، لأنه هو الغفور الرحيم ، وهو سبحانه قد أذن لهم بذلك ، فيجيبهم على ذلك .

روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إني أرى مالا ترون ، وأسمع مالا تسمعون ، أطّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى))[1]

صلاة الملائكة لله تعالى

قال تعالى :((والصّافات صفاً ، فالزاجرات زجراً . فالتاليات ذكراً . إن

أي ظهر لها صوت من كيرة الملائكة فوقها .
والمعنى :لخرجتم إلى صعدات الأرض ومرتفعاتها تفزعون إلى الله تعالى وتستغيثونه .
رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم .

إلهكم لواحد)) . أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة : الصّافات للصلاة والعبادة بين يدي رب العالمين ، كما صح عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟)) قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((يتمّون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف)) . وفي رواية :((يكملون الصف الأول ويتراصون في الصف)).

وأما الزاجرات زجراً فهي الملائكة التي تزجر السحاب وغيره لتسوقه حيث أمرها الله تعالى ، وقيل : المراد بالزاجرات الآيات الزاجرات عن المعاصي والمخالفات . نعم الآية تشمل ذلك كله .

وأما التاليات ذكرا فهي الملائكة تتلوا كلام الله تعالى ، كما قال سبحانه :((كلا إنها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة . بأيدي سفرة كرام بررة)) .وقال تعالى مخبرا عن الملائكة :((وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)) .

ويبين ذلك ما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((فضّلنا على الناس بثلاث:جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء)) .

وروى ابن جرير وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استووا قياما ، يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ، ثم يقول :((وإنا لنحن الصافون)) ثم يقول عمر رضي الله عنه : تأخر يا فلان ، تقدم يا فلان ثم يتقدم- إماماً- فيكبر .

فقد فضل الله تعالى هذه الأمة المحمدية ، على رسولها أفضل الصلاة والسلام بأنواع من الفضائل ، ومن ذلك أن تتشبه بالملائكة في صلاتهم

لربهم ، وأن تقوم في صلاتها مثل قيام الملائكة صفوفاً .

هذا ،وإن الملائكة عليهم السلام مع ما هم فيه من كثرة عباداتهم واستغراقهم في التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ، هائمين في ذلك مولعين- مع هذا كله- فإنهم إذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك- أي أنت أكبر وأجل- لا نحصي ثناء عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك.

وروى الطبراني وغيره عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك ساجد ، أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا : ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئا)) .

خوف الملائكة عليهم السلام من الله تعالى وخشيتهم منه

قال الله تعالى :((يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)) .

فأخبر سبحانه عن الملائكة أنهم يخافون ربهم ، أي لأنه سبحانه ربهم مالك ذواتهم ، وبيده مقاليد أمورهم ، له القوة والغلبة ، والسلطة والهيمنة . روى محمد بن نصر المروزي بإسناده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته تعالى ، ما منهم ملك تقطر منه دمعة إلا وقعت على ملك يصلي ، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ،وإن منهم ركوعا لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا : سبحانك

ما عبدناك حقّ عبادتك[1])) .

وقال تعالى :((يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون)) وذلك لأن الخشية من الله تعالى هي على حسب العلم به سبحانه ،قال تعالى:((إنما يخشى الله من عباده العلماء))وأعلم الناس بالله تعالى هو أخشاهم لله تعالى - صلى الله عليه وسلم - كما قال ((أما والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية)).

وبيان ذلك أن الخوف من الله تعالى له أسباب متعددة نذكر جملة منها :

الأول- خوف الذنب ،أي خوف العبد من ذنبه مع الله تعالى .وهذا النوع من الخوف ينشأ من ثلاثة أمور :

أحدها- معرفة العبد بالجناية وقبحها.ثانيها- تصديق العبد بالوعيد على الذنب

وأن الله تعالى رتّب على المعصية عقوبتها.

ثالثها- أن يعلم العبد أنه قد يمنعه من التوبة موانع ، ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب أو وقع في المعصية .

وهذا النوع من الخوف بهذا السبب لا يتصور في حق الملائكة عليهم السلام لأنهم معصومون عن المخالفات ، كما سيأتي بحث ذلك إن شاء الله تعالى .

الثاني- من أسباب الخوف علم العبد بأن الله تعالى هو مقلّب القلوب ، وأنه يحول بين المرء وقلبه وأنه سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو العليم الحكيم ،فينشأ عند العبد خوف من ذلك .

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين أولي الألباب الذين يقولون ((ربنا

---

[1] (1)من العلماء اللذين ذكروا هذا الحديث في كتبهم الحافظ ابن كثير في((تفسيره)) وقال :((إسناده لا بأس به)) ا ه .

لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)) .
وروى مسلم والترمذي واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) فقلت : يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)) .ففي هذا الحديث يرشد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة إلى الإكثار من هذا الدعاء تخوفا عليهم ، فإن الله تعالى هو الفعّال المطلق لا مانع له ، ولا معقّب لحكمه ولا رادّ لأمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والكل له عبيد .

فهذه الحضرة الإطلاقية لها أحكامها من الخشية والمخافة ، وهي توجب على العارف بالله تعالى أن يرعاها حقها .كما فصله العارفون نفعنا الله تعالى بهم .

الثالث من أسباب الخوف- الإجلال والإعظام ، وهذا الخوف- أي خوف الإجلال والإعظام- يكون على حسب معرفة العارف بربه وعظمته وجلاله وكبريائه ، وعلى حسب مقام ربه ، كما قال العارف المحاسبي :خوف المقربين- من الأنبياء والملائكة- خوف إجلال وإعظام ، وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى . ا ه .

الرابع من أسباب الخوف والخشية من الله تعالى- أن يعلم العبد أن أحداً لا يقدر الله تعالى حق قدره من الثناء عليه والحمد له وتسبيحه وتكبيره كما هو سبحانه الكبير المتعال ، فقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد الحامدين لرب العالمين وأكرم الأولين والآخرين :((اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقابك ،وأعوذ بك منك ،لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)) .

تكريم الله تعالى ملائكته عليهم السلام
وذكره لهم في مناصب العز والشرف

قال الله تعالى :((وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ! سبحانه ، بل عباد مكرومون لا
يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مُشفقون)) .

فقد وصفهم سبحانه بأنهم عباد مكرومون ، لهم شأن كريم ومقام عظيم ، أكرمهم سبحانه بحبه وبقربه ، وأقامهم في المقامات العالية ، وأنزلهم المنازل السامية ((لا يسبقونه بالقول)) وصفهم بكمال الطاعة والانقياد لأمره تعالى وأدبهم مع ربهم بحيث لا يقولون شيئا حتى يقوله سبحانه أو يأمرهم به . ((وهم بأمره يعلمون)) وصفهم بكمال طاعتهم في الأعمال وأنهم بأمره يعملون لا من تلقاء أنفسهم . ((يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)) فهم على مراقبة دائمة في جميع تقلباتهم وحركاتهم وسكناتهم ، لأنهم يوقنون أن علمه سبحانه محيط بهم . ((ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)) أي لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفعوا له .

وقال الله تعالى :((شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم)) .

ففي هذه الآية الكريمة قرن الله تعالى شهادة الملائكة وأولي العلم بشهادته سبحانه التي سجلها في جميع كتبه ، وسطرها على صفحات مكوناته ،وفي ذلك وجوه من العزة والكرامة ، والشرافة والمكانة ، للملائكة الكرام والعلماء العظام الذين قرنهم الله تعالى بملائكته .

أولاً- إنه سبحانه استشهد بشهادة نفسه جل وعلا وهو أجل شاهد ، وكفى

بالله شهيدا ،ثم بخيار خلقه وهم الملائكة وأولوا العلم وكفاهم بذلك شرفا وفضلا على غيرهم من المخلوقات .

ثانياً- إنه سبحانه لا يستشهد من خلقه إلا الشهود العدول البررة ، ففي هذه الآية دليل على عدالتهم وثقتهم ، وصدقهم وأمانتهم وتزكيتهم وتنقيتهم .

ثالثاً- إنه استشهد بالملائكة وأولي العلم على أجل مشهود ، وأعظم معهود ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن المعلوم بداهة أن العظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أفاضل الخلق وساداتهم وكرامهم .

رابعاً- إنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين ،فهم- أي الملائكة وأولوا العلم - عنده سبحانه بمنزلة أدلته وبراهينه الدالة على توحيده سبحانه.

هذا وإن اقتران ذكر أولي العلم بالملائكة في مقام الشهادة والاستشهاد بشهادتهم ، دليل على قوة المناسبة وإحكام المشابهة بين أولي العلم وبين الملائكة عليهم السلام من وجوه متعددة ، وذلك أن الملائكة طهرة أطهار، بررة أخيار ، ذووا نفسيات زكية وسرائر قدسية ، ويستغفرون لمسيئهم ، ويعينونهم على أعدائهم ، من شياطين الانس والجنّ ويحرصون على مصالح العباد أضعاف ما يحرص العباد على مصالحهم ويلهمونهم خير الدنيا والآخرة ، ويحذرونهم من شر الدنيا والآخرة . وهكذا موقف العلماء العالمين مع الله تعالى أجمعين .

فالمناسبة هي علة الضمّ والجمع بين جمع وجمع ، فما أشبه العلماء العالمين بملائكة رب العالمين نفعنا الله تعالى بهم أجمعين .

رؤساء الملائكة عليهم السلام

منهم السادة جبريل عليه السلام وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ويسمى

عزرائيل ،[1] ولكن منهم أعمال ووظائف يقوم بها بإذن الله تعالى .

روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال سألت عائشة رضي الله عنها : بأي شيئ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة إذا قام الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته :((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) .

وروى النسائي عن عائشة رضي اله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر)) . وروى الحاكم عن أبي المليح عن أبيه أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتي الفجر فصلى قريبا منه فسمعه يقول :((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أعوذ بك من النار)) ثلاث مرات .

وفي هذه الأحاديث ما يدل على أفضلية هؤلاء الملائكة الثلاثة وكرامتهم عند الله تعالى .

ومن أسرار ذكر هؤلاء الثلاثة مع اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى جعلهم أسباب الحياة ، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء بروح العالم . قال تعالى :((وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ..)) الآية .

وبهذه الروح تحيا الأرواح والقلوب حياة سعيدة أبدية في الدنيا والآخرة .

قال تعالى :((يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم

---

(1)أما معاني هذه الأسماء فقد روى البيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه قال :جبريل عبد الله ، وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه ((إيل)) فهو معبد لله تعالى . أي لأن اسم إيل بالعبراني معناه ((الله)). روى ابن جرير وغيره عن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال : اسم جبريل عبد الله ، واسم ميكائيل عبيد الله ،واسم إسرافيل عبد الرحمن ،وأما عزرائيل فمعناه عبد الجبار .عليهم السلام .

..)) الآية .

وأما جبريل عليه السلام فهو صاحب الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى الأنبياء ، وهو سبب الحياة للعباد والبلاد . وأما ميكائيل عليه السلام فهو الموكل بالمطر الذي به حياة الأرض والنبات بل والإنسان والحيوان . وأما إسرافيل عليه السلام فهو الذي ينفخ في الصور فيحيي الله تعالى الموتى بنفخته ، فإذا هم قيام لرب العالمين .

صفات جبريل ووظائفه القويمة

قد تظاهرت الأدلة القرآنية والنبوية على فضائل جبريل عليه السلام وكريم منزلته عند الله تعالى.قال الله تعالى في بيان صفات جبريل عليه السلام :((إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين)) . فقد أثنى الله تعالى في هذه الآيات على جبريل عليه السلام ، وبينّ أنه واسطة وحيه بالقرآن الكريم إلى حبيب رب العالمين إمام الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد أفضل خلق الله تعالى أجمعين صلى الله عليه وسلم ، وأن الثناء على الواسطة هو في الحقيقة ثناء على الموسوط له ، المبّلغ إليه . وفيه بيان عظيم مقام سيدنا محمد وشرافة قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه ، ولذلك أرسل إليه عظيم الملائكة وكبيرهم صاحب المقام الكريم والأمر المطاع فقال سبحانه ((إنه لقول رسول كريم)) يعني بهذا الرسول الكريم جبريل قطعا ، لأنه سبحانه ذكر بعد ذلك صفات جبريل عليه السلام المعيّنة له . وأما الرسول الكريم في سورة الحاقة :((إنه لقول رسول كريم)) فالمراد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بدليل أنه سبحانه ذكر بعده مل يردّ على أعدائه صلى الله عليه وسلم الزاعمين أنه شاعر أو كاهن ، فقال :((وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين)) . يعني أن هذا القرآن الكريم كلام الله

تعالى نزله سبحانه على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الرسول الملكي جبريل عليه السلام ، فأضافته إلى الرسول الملكي تارة بقوله تعالى :((إنه لقول رسول كريم)) وإضافته إلى الرسول البشري تارة بقوله :((إنه لقول رسول كريم)) في الحاقة ، هي إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء ، وإلا تناقضت الإضافتان . ثم إن لفظ الرسول يدل على ذلك ، فإن الرسول هو من يبّلغ كلام من أرسله ، وهذا صريح في أن القرآن كلام الله حقاً ، وأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بلغه عن الله تعالى بوساطة جبريل الأمين عليه السلام .

وفي وصف الله تعالى جبريل بأنه ((كريم)) فيه تزكية كاملة لسند القرآن وأن الذي نزل بالقرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول كريم جميل المنظر ، بهي الصورة ، كثير الخير طيّب مطيّب ، عظيم العلم والمعرفة عظيم الأسرار والأنوار ، اجتمع فيه الكرم الصوري والمعنوي فحقيق بمن هذا وصفه أن يكون واسطة نزول القرآن إلى صفوة الأكوان حبيب الرحمن ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لتمام المناسبة ؛ كما قيل : الجنس يألفه الجنس .

كما بيّن سبحانه في وصف جبريل عليه السلام أنه ((ذو قوة)) فهو بقوته يمنع الشياطين أن تدنو من القرآن العظيم ، أو تنال منه شيئاً ، أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رأته الشياطين هربت منه . وأيضا فإن جبريل بقوته معاضد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد له وناصره ، ومن كان هذا الملك القوي عضده وناصره فمن الذي يستطيع أن يغلبه أو يخذله ؟ كما وأنه ذو قوة في عبادته لله تعالى وطاعته ، وفي تنفيذ أوامر الله تعالى ، فهو الذي رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ، وبريشة واحدة من أجنحته رفع خمس مدائن كبرى بقوم لوط ثم قلبها ثم أهوى بها كما سيتضح قريبا .

ثم وصفه تعالى بقوله :((ذي قوة عند ذي العرش مكين))فله شرف العندية العظمى والرتبة الزلفى ، وأنه مكين أي ذو مكانة سامية ورتبة عالية

كما وصف الله تعالى جبريل بأنه :((مطاع ثم أمين)) يعني أنه مطاع هناك في الملأ الأعلى فيما بين الملائكة المقربين عليهم السلام ، يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ، وإذا نزل في أمر حفت به الحشود من الملائكة تحت راية إمارته وقيادته ، كما ورد ذلك حين كان ينزل بالقرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيضا في نزوله يوم بدر حين التقى الجمعان وقد تراءى إبليس للمشركين بصورة رجل من بني مدلج ، وقال لهم ((لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم)) فلما نزل جبريل عليه السلام ونزلت معه الملائكة ورأى ذلك عدو الله قال للمشركين ((إني بريئ منكم إني أرى مالا ترون)) أي جبريل ومن معه من الملائكة ((إني أخاف الله ، والله شديد العقاب)) .

كما وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ((أمين)) فهو أمين وحي الله تعالى وموصله بأمانة وصدق إلى أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم من غير تغيير وتحريف .

<u>ومن صفات جبريل عليه والسلام</u>:أنه الروح الأمين . قال تعالى ((نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين)) وسمي جبريل عليه السلام روحا ، لأنه روح كله ، لا كالناس الذين في أبدانهم أرواح ولأنه روح عظيمة قوية التأثير في الأحياء ، ولذا كان من الحكمة أنه يرسل إلى مريم فينفخ فيها ، فيُخلقَ عيسى عليه السلام ويعطى قوة على إحياء الموتى بإذن الله تعالى . ومما يدل على قوة روح جبريل عليه السلام ما ذكره الله تعالى في قصة السامري قال :((فما خطبك يا سامريّ . قال : بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وكذلك سوّلت لي

نفسي)) . قال عليّ كرّم الله وجهه : إن السامريّ رأى جبريل عليه السلام راكبا على فرس حين جاء ليذهب بموسى عليه السلام إلى الميقات ، ولم يره أحد غيره من قوم موسى ، فأخذ السامريّ من موطئ فرس جبريل قبضة من التراب- أي لأن السامريّ رأى كلما رفع الفرس يديه أو رجليه على التراب اليابس يخرج النبات ،فعرف أن هذا التراب فيه آثار حيوية- فألقاها في جسد عجل قد صاغه من ذهب فكان له خُوار .

قال الشيخ الأكبر : وكان ذلك من إلقاء الشيطان في نفس السامريّ ، لأن الشيطان يعلم منزلة الأرواح ، فوجد السامري في نفسه هذه القوة ، وما علم أنها إلقاء من الشيطان فقال : وكذلك سوّلت لي نفسي . ا ه

ومن صفات جبريل عليه السلام : أنه روح القدس . قال تعالى :((قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ..)) الآية . وسمي بذلك لقدسية نفسه وطهارتها من الأدناس ، ولأنه ينزل بالتقديس من الله تعالى ، أي ينزل بما يطهر النفوس ويقدس العقول والقلوب ، وهو القرآن الكريم والحكمة والفيوضات الإلهية ،والقدس معناه الطهارة والبركة ، والتقديس معناه التطهير والمباركة ،فجبريل عليه السلام ذو قداسة وتقديس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها [1] ،فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته))

---

(1)والمعنى أن روح القدس جبريل عليه السلام ألقى الوحي في خلد النبي صلى الله عليه وسلم أو في قلبه أو في عقله هذا المقال ا ه فيض القدير .

(2)هذا الحديث رواه ابن ماجه عن جابر ، ورواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم وصححه عن ابن مسعود كما في شرح المواهب .

من وظائف سيدنا جبريل عليه السلام

إن لسيدنا جبريل عليه السلام أعمالا هامة عظيمة يقوم بها بإذن الله تعالى وأمره ، فمن ذلك أنه هو الذي ينزل بالشرائع الربّانية ،وينزل بالكتب الإلهية على الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، ولذلك يسمى الناموس الأكبر كما سيأتي في حديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها . والناموس في أصل اللغة هو صاحب سر الخير ، وسمي جبريل عليه السلام بذلك لأنه أمين الله تعالى على أسراره الموحاة إلى أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم .

قال تعالى :((قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ..)) الآية ، وقال تعالى :((نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين)) .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : أوّل ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة- وفي رواية مسلم:حبب إليه الخلاء- أي الخلوة- فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه - وهو أي التحنث :التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزغ إلى أهله ،ويتزود

لذلك،ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها،حتى جاءه الحق- أي الأمر الحق وهو الوحي ،سمي حقا لمجيئه من عند الله تعالى . أو المراد جاءه رسول الحق وهو جبريل- وهو في غار حراء فجاءه الملك- أي جبريل عليه السلام - فقال : اقرأ فقال صلى الله عليه وسلم : ما [1]أنا بقارئ فأخذني فغطني- أي

---

(1)قال بعضهم :((ما))نافية بدليل رواية:ما أنا بقارئ،ما أحسن أن اقرأ.وقال بعضهم :هي استفهامية،بدليل رواية أبي الأسود عن عروة :كيف اقرأ،ورواية ابن إسحاق عن عبيد بن عمير:ماذا اقرأ ؟ ا ه .من شرح الزرقاني على المواهب .

فضمني- وفي رواية الطبراني وابن اسحق : فغتني- وهو الضم مع حبس النفس- حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة فقال :((اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم[1] . الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم)) . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده،فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال:((زمّلوني زمّلوني))فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع فقال لخديجة وأخبرها الخبر :((لقد خشيت على نفسي)) أي لقد خشيت على نفسي أن لا تتحمل ذلك جسمي ولا تقوى قوتي لذلك . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم،وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق.فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة- وكان امرءاً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي - فقالت له خديجة :يا بن عم اسمع

من ابن أخيك ،فقال له ورقة :يا ابن أخي ماذا ترى؟فأخبره رسول الله صلى

---

(1)هذه الضمات الجبريلية القوية فيها الإفراغات والإفاضات بالأسرار والأنوار الإلهية ،والعلوم والمعارف الربانية التي تنزل بها جبريل عليه السلام ،من حضرة الحكيم العلام على مختلف وجوهها التي تعم النفس والقلب والروح .وفي الصحيح عن ابن عباس قال:ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال :((اللهم علمه الكتاب))وبذلك فتح على ابن عباس وأفيض عليه .

(2)أي:اقرأ باسم ربك الذي هو سبحانه ربّاك وتعهدك منذ صغرك،فإنه هو الذي يقرئك القرآن ويعلمك إياه ويبيّن لك معانيه ،وإن لم تكن متعلما القراءة والكتابة من قبل،فإنك تقرأ باسم ربك ولست تقرأ بموجب علم سابق اكتسبته من المخلوقات لأنك أمي_أي لم تتعلم القراءة_قال تعالى:((إن علينا جمعه وقرآنه_أي علينا أن نجمعه لك وأن تقرأه_فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ،ثم إن علينا بيانه))أي:نبينه لك ثم أنت تبينه للناس .

الله عليه وسلم خبر ما رأى،فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى .يا ليتني فيها جزعا،ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((أو مخرجي هم ؟ !))قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

تأييد الله تعالى رسله صلوات الله عليهم بجبريل عليه السلام: من وظائف سيدنا جبريل عليه السلام أن يؤيد الله تعالى به أنبياءه ورسله صلوات الله تعالى عليهم .

قال الله تعالى في تأييده لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :((وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين،والملائكة بعد ذلك ظهير)) فهو سبحانه يخاطب زوجتي رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة و حفصة رضي الله عنهما بقوله :((وإن تظاهرا))أي تتظاهرا وتتعاونا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يسؤه من إفراط الغيرة ((فإن الله هو مولاه)) أي هو سبحانه ناصره ومتولي أمره كله صلى الله عليه وسلم:((و جبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير))أي كلهم أعوان مظاهرون ومؤيدون لهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وفي هذا دليل على عظيم انتصار الله تعالى لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن امرأتين إن يصدر منهما تظاهر عليه فإن الله تعالى الكبير المتعال هو مولاه الناصر له صلى الله عليه وسلم وإن جبريل بقوّته وسطوته وصالح المؤمنين بعزيمته وهمته والملائكة بجمعيتهم وجمرتهم ، كل أولئك مؤيدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم . يعني أنه سبحانه لا يسلمه صلى الله عليه وسلم ولا يتركه في ذلك فكيف يسلمه ويتركه فيما هو أشد من ذلك ؟!فاعتبر يا عاقل بما هنالك لتعلم فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرامته عند

الله تعالى .

وقال تعالى في تأييده لعيسى بجبريل عليه السلام :((وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس)) وقال ((إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك أذ أيدتك بروح القدس ...)) الآية فأيده الله تعالى بروح القدس- أي جبريل عليه السلام - منذ صباه إلى حال كبره وبهذا التأييد

حفظه الله تعالى من أعدائه اليهود ، فقد تمالأ اثنا عشر ألف يهودي لقتله فلم يتمكنوا منه ، قال تعالى :((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ...))الآية.

كفاية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم شر المستهزئين- بوساطة جبريل عليه السلام

قال الله تعالى :((فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين)) . أنزل الله تعالى هذه الآيات على رسوله صلى الله عليه وسلم حين كان في مكة وقد تصدى له المشركون بالإيذاء والهزء ، فقال له الله تعالى :((فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)) أي اجهر بما تؤمر وأظهره علنا بما فيه من الحجج القاطعة والأدلة الساطعة التي تفرق بين الحق والباطل ، والنور الذي جئتهم به والظلمات التي يعمهون فيها . ثم تكفّل الله له بكفايته صلى الله عليه وسلم أذى المشركين وهزء المستهزئين به وبما جاء به فقال :((إنا كفيناك المستهزئين)) . والمعنى : أعلن الدعوة يا رسول الله واجهر بها ، ولا يهمنك أمر المشركين وإيذاؤهم لك و استهزاؤهم بك ، فإنا بسلطاننا وقدرتنا نكفيك شرهم ونقيك ضرهم ونرد كيدهم في نحرهم .

فقد ثبت عن ابن عباس وأنس وغيرهما أن هذه الآية نزلت في خمسة من

المشركين[1]- وقيل ثمانية- كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم :الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، و الحارث بن عيطلة ، والعاص بن وائل ، فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فشكاهم إلى جبريل- أي ذكر له تماديهم في هزئهم وأذيتهم- .

ثم إنهم مرّوا بالنبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم يستهزئون فأراه صلى الله عليه وسلم الوليد فأومأ جبريل عليه السلام أكحله فقال صلى الله عليه و سلم لجبريل :((ما صنعت شيئا)) فقال له جبريل عليه السلام :كفيتكه ، ثم أراه الأسود ابن المطلب فأومأ جبريل عليه السلام إلى عينيه- أي إلى عيني الأسود- فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل :((ما صنعت شيئاً))- أي لم تضربه وإنما أشرت إليه إشارة- فقال جبريل عليه السلام : كفيتكه- أي بهذه الإشارة- ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه ، فقال صلى الله عليه

وسلم لجبريل عليه السلام ((ما صنعت شيئاً)) فقال جبريل :كفيتكه . ثم أراه الحارث فأومأ إلى بطنه ، فقال له صلى الله عليه وسلم ((ما صنعت شيئاً)) فقال : كفيتكه ثم أراه العاص بن وائل ، فأومأ جبريل عليه السلام إلى أخمصه ،فقال له صلى الله عليه وسلم :((ما صنعت شيئاً)) فقال : كفيتكه .

فانظر آثار تلك الإيماءات الانتقامية الجبريلية من المستهزئين بسيد البرية .

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبله فأصاب أكحله فقطعها .

---

(1)رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وكلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن كما في((الدر المنثور))و((شرح المواهب)) للزرقاني . وانظر سيرة ابن هشام وتفسيره ابن كثير وغيرهما .

وأما الأسود بن المطلب فإنه نزل تحت سمرة- أي شجرة سمرة- فجعل يقول

ألا تدفعون عني ؟! قد هلكت !أطعن بالشوك في عيني !فجعلوا يقولون ما نرى شيئا ، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج رجعيه من فمه فمات منه ،وأما العاص فركب إلى الطائف فربض- أي وقع- على شبرقة فدخل في أخمص- أسفل- قدمه شوكة فقتلته . وفي رواية للبيهقي والضياء باسناد صحيح أن جبريل عليه السلام أومأ إلى الأسود بن عبد يغوث فضربته الأكلة فامتخض رأسه قيحا فمات .

<u>تأييد الله تعالى أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيديه بجبريل عليه السلام :</u>

وهذا من وظائفه عليه السلام . قال الله تعالى :((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسول- إلى قومه- وأيدهم بروح منه)) الآية . قال بعضهم : أيدهم بالقرآن وحجته . وقال بعضهم : أيدهم بنور إيمان وهدى وبرهان . وقال بعضهم :أيدهم بجبريل عليه السلام .

وجاء في الصحيحين عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت :((أهجهم- يعني المشركين- وجبريل معك)) وفي الصحيحين من طريق سعيد ابن المسيب قال : مر عمر بحسان في المسجد وهو ينشد- أي الشعر- فلحظ إليه فقال : كنت أنشد وفيه- أي في المسجد- من هو خير منك .

ثم التفت حسان إلى أبي هريرة فقال : أنشدك الله أسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :((أجب عني . اللهم أيده بروح القدس ؟)) فقال أبو هريرة : اللهم نعم .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال :((إن روح القدس مع حسّان ما دام ينافح- أي يدافع- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) .

تحبيب الله تعالى جبريل عليه السلام بأحبابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتبغيضه سبحانه لجبريل في أعدائه الذين يبغضهم رب العالمين ، والنداء الجبريلي لذلك في السماوات والأرض . قال الله تعالى :((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً)) .

روى الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببت فلاناً فأحبه ، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض . فذلك قوله ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاُ)) وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل إني قد أبغضت فلانا فينادي في أهل السماء ، ثم تنزل له البغضاء في الأرض)) .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :((إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل فقال يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبّه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإن الله تعالى إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ، ثم توضع له البغضاء في الأرض)) .

تهديد الله تعالى المعاندين لرسله وتخويفه المعارضين بواسطة جبريل عليه السلام:

قال الله تعالى :((وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلةّ،وظنوا أنه واقع بهم؛خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون)) فقد جاء أن بني إسرائيل لما

توقفوا عن أخذ التوراة وأبوا أن يقبلوها حين جاءهم بها موسى عليه السلام، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يرفع فوقهم جبل الطور وقيل لهم: إن قبلتم التوراة والعمل بها وإلا ليقعنّ عليكم ،فوقع كلٌ منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من سقوطه ، وهناك قيل لهم ((خذوا ما آتيناكم)) من مضامين التوراة ومشتملاتها ((بقوة)) أي بجد وعزم ((واذكروا ما فيه)) أي احفظوه ولا تنسوه واعملوا به ولا تتركوه ترك المنسيّ ((لعلكم تتقون)) أي : تنتظمون في سلك المتقين المتوقيّن عن قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق .

أخذه سبحانه بالعقوبات لتاركي الشرائع الإلهية بواسطة جبريل عليه السلام:

ومن وظائف جبريل عليه السلام أنه هو الذي ينزل بالشرائع الإلهية على الرسل صلوات الله عليهم،كما وأنه هو الذي يتعّهدها فيؤيد مؤيديها و أنصارها ، ويحارب محاربيها ينتقم من جاحديها والمستهزئين بها ، وكل ذلك عن أمر الله تعالى وإذنه .

فهو الذي صاح بقوم ثمود،قال تعالى:((فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . إن ربك هو القويٌ العزيز . وأخذ الذين

ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين)) ساقطين على وجوههم لاصقين بالتراب ، وكان جزائهم من جنس عملهم فإنهم آذوا رسول الله صالحا بأراجيف الأقوال والتهديد له ، وتعالوا بأصواتهم عليه يصيحون به مستهزئين وساخرين ، فجاءتهم الصيحة الجبريلية من فوقهم هزّت قلوبهم وخلعتها ، وجاءتهم الرجفة الشديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقّت الحقائق ، وحلّت بهم المثلات- أي العقوبات المماثلة - .

وهو الذي رفع مدائن قوم لوط عليه السلام وقلبها عاليها سافلها ، وذلك أنهم لما انقلب مزاج نفوسهم ، وانعكست ميولاتهم الشهوانية من سنن الطباع الإنسانية ، وقد تمكن ذلك منهم بسبب شدة طغيانهم وإفراطهم في مصارف شهواتهم ،حتى اكتفى رجالهم برجالهم ،ونساؤهم بنسائهم ، كما ورد أنه قيل لمحمد بن علي رضي الله عنهما : عذّب الله تعالى نساء قوم لوط بعمل رجالهم ؟ فقال : الله تعالى أعدل من ذلك ولكن استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وآخرون بإيتاء المرأة من عجيزتها أي دبرها فكان انقلابهم النفساني الانقلاب المكاني وكم بين النفوس الإنسانية والآفاق الكونية من ارتباطات وتناسبات : صحة وفساداً وعماراً وخراباً ، يعلمها ذووا البصائر والدرايات . قال الله تعالى :((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ..)) الآية . وقال تعالى :((فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل)) أي طين متحجر ((منضود)) أي منضّد ، حيث إنه أعد وهيّئ لعذابهم ، فجيئ به منظماً في الإرسال ، يرسل بعضه إثر بعض دون انقطاع ولا فتور ، متوالية فوقهم كتوالي قطر الأمطار الشديدة((مسمومة عند ربك))أي عليها سيما أنها ليست من أحجار الأرض كما أنها معلمة باسم من يرمى بها،أي كل حجرة وفيها اسم من ترميه وتصيبه ، وكانت أحجاراً كبيرة الحجم ، عظيمة الجسم ، قوية الحطم والهدم .

((وما هي من الظالمين ببعيد)) وفي هذا تهديد ووعيد لمن نجا نحو قوم لوط في ظلم نفوسهم وفساد مزاجهم . عياذا بالله تعالى .

روي أن مدائن قوم لوط كانت خمسة- وقيل سبعة- كبرى فيها العدد الكثير والجم الغفير من السكان ، فلما حقّ عليهم العذاب جاء سيدنا جبريل عليه السلام ، فاقتلع تلك المدائن من نحومها ، بريشة من جناح من ستمائة جناح

له ، ورفعها وقلعها ،ثم أهوى بها كما قال تعالى:((والمؤتفكة - أي المنقلبة أهوى . فغشاها ما غشى)) أي غطاها بإمطار الحجارة الشديدة على شكل فظيع عظيم جدا .

كما أن جبريل عليه السلام كان هو الحاشر لأتباع فرعون والملاحق لهم ليجمع آخرهم على أولهم ، حين لحق فرعون وقومه رسول الله موسى عليه السلام وقد توجه بأتباعه نحو البحر . قال تعالى ((فأتبعوهم مشرقين)) أي اتبع فرعون وقومه نبي الله تعالى موسى وقومه ووصلوا إليهم عند شروق الشمس،فلما تراءى الجمعان- أي تقاربا بحيث رأى كلٌ من الفريقين صاحبه ((قال أصحاب موسى إنا لمدركون)) أي لملحقون ، وذلك باعتبار أنهم انتهوا إلى سيف البحر ، فصار البحر أمامهم والعدو من ورائهم ، وأرادوا بذلك التحزن وإظهار الشكوى لموسى عليه السلام ليحسن التدبير والتفكير في طريق المخرج من هذا المضيق ، فقال لهم موسى عليه السلام :((كلا إن معي ربي سيهدين)) إلى ما فيه نجاتكم ونصركم على عدوكم ((وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر)) أي فيطيعك فور ضربه وينفلق عن عدة مسالك ، يتسع لكل من هو معك سالك . أخرج ابن أبي حاتم وغيره أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : اللهم يامن كان قبل كل شيء ، والمكوّن لكل شيء ، والكائن بعد كل شيء ، اجعل لنا مخرجا . فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر . وقد أوحى الله تعالى إلى البحر أن يتهيأ لذلك ، كما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أوحى تلك الليلة إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك،فبات البحر تلك الليلة وله أفكل- أي رعدة واضطراب- لا يدري من أي جوانبه يضربه موسى عليه السلام ، فحين ضربه موسى عليه السلام ((فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين)) أي

قربنا هناك الآخرين فرعون وقومه قرّبناهم على إثرهم ، كما ألحقنا الآخرين من قوم فرعون بأولهم وجمعناهم إلى بعضهم لئلا ينجو منهم أحد ، وكان ذلك بواسطة جبريل عليه السلام ، كما أخرج عبد بن حميد وابن عبد الحكم عن مجاهد التابعي المفسر أنه قال :كان جبريل عليه السلام بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فجعل جبريل عليه السلام يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم ، ويستقبل آل فرعون فيقول رويدكم- أي مهلكم- ليلحق بكم آخركم،فقالت بنو إسرائيل:ما رأينا سائقا أحسن سياقا من هذا- يشيرون إلى جبريل ولكن لم يعرفوه- وقال آل فرعون : ما رأينا وازعاً- أي جامعاً - أحسن زِعة من هذا .

وروى ابن جرير وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فرعون كان على فرس أدهم حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريل عليه السلام على فرس أنثى ، فلما رآها حصان فرعون اقتحم البحر خلف فرس جبريل عليه السلام ، وقيل لموسى عليه السلام :((واترك البحر رهواً)) أي مفتوحا ذا فجوة واسعة على حاله ولا تغلقه وراءك ليلجه العدو ،ودخل فرعون وقومه البحر حتى آخرهم ، وجاز قوم موسى عليه السلام البحر عن آخرهم ، ثم أطبق البحر على فرعون وقومه .

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال:نزل جبريل عليه السلام يوم غرق فرعون وعليه عمامة سوداء .

كما وأن جبريل عليه السلام هو الذي أنزل حصون بني قريظة :وصفوفهم فقد روى ابن سعد من مرسل حميد بن هلال أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله إنهض إلى بني قريظة فقال :((إن في أصحابي جهداً- أي تعباً- من غزوة الخندق فلو أنظرتهم- أي أخرتهم

- أياماً)) فقال جبريل : انهض إليهم فلأضعفنهم،وعند ابن إسحق:أن جبريل عليه السلام قال : إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصليّن العصر إلا في بني قريظة .

وفي رواية ابن عائذ عن جابر رضي الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل رأسه مرجعه من طلب الأحزاب إذ وقف عليه جبريل عليه السلام فقال ما أسرع ما حللتم- السلاح!- والله ما نزعنا- نحن الملائكة من لأمتنا- أي سلاحنا- شيئا منذ نزل العدو . قم فشد عليك سلاحك ، فو الله لأدقنّهم دق البيض على الصفا . وأراد بذلك أنه يلقي الرعب في قلوبهم حتى يصيروا كالهالكين،ثم يزلزل بهم فينزلهم من حصونهم.وفي ذلك نزل قوله تعالى :((وأنزل الذين ظاهروهم)) أي عاونوا المشركين يوم الخندق ((من صياصيهم)) أي حصونهم ((وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً)) .

القوى الملكية والعظمة الجبريلية

قال تعالى:((الحمد لله فاطر السموات والأرض،جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير)) .

ذكر سبحانه في هذه الآية مظاهر قدرته وآثار قوته المشهودة في تكوين السماوات والأرض ، ثم أردف ذلك بذكر ملائكته سبحانه ، وأنه جعلهم رسلاً في تنفيذ أوامره التكوينية ، وفي تبليغ وحيه وأحكامه التشريعية ،وأنه سبحانه زاد في خلقهم جمالاً وبهاء وقوة ، فجعلهم أولي أجنحة ، فمنهم ذو الجناحين ، ومنهم ذو ثلاثة أجنحة ، ومنهم ذو أربعة أجنحة ، ومنهم الأكثر

من ذلك ، لأنه سبحانه يزيد في الخلق ما يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة ، فإنه لا تعجز قدرته عما خصصته إرادته ، واقتضته حكمته ، لأنه على كل شيئ قدير ، وفي ذلك إيماء إلى زيادة الحسن والجمال في خلق الملائكة عليهم السلام ، وزيادتهم في القوة ، وأنهم في ذلك على مراتب متعددة ، فقد وردت الأحاديث في بيان عظمة جبريل عليه السلام وكثرة أجنحته .

فمن ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح ، وفي رواية لمسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : رأى جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين ، فرآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض .

فكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتراءى له في صور متعددة فتارة في صورة دحية بن خليفة الكلبي حيث كان جميل الصورة بهي المنظر وتارة يأتيه في صورة أعرابي ، وتارة في صورته الجبريلية الحقيقية التي خلق عليها ، له ستمائة جناح مابين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب وقد رآه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة مرتين في القول الشائع ، فالمرة الأولى كانت في بطحاء مكة رآه صلى الله عليه وسلم منهبطاً من السماء إلى الأرض ، والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج .

وروى الأمام أحمد بالسند الجيد القوي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر

والياقوت ما الله به أعلم .[1]وروى أحمد أيضا بالسند الجيد القوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت)) .

روى أحمد و الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت)).

روى أحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة من رفرف قد ملأ السماء والأرض.

ولا يلزم من رؤيته صلى الله عليه وسلم جبريل ليلة المعراج عند سدرة المنتهى- لا يلزم من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربه ليلة المعراج كما توهمّه بعض الناس ، وإنما الحق أنه صلى الله عليه وسلم رآى جبريل عند السدرة ، كما وأنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج ، ولا ينافي ذلك هذا ، لما ثبت في الأدلة الصحيحة ، وليس هنا موضع بسطها .وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((رأيت جبريل منهبطاً من وقد ملأ ما بين الخافقين ، عليه ثياب سندس معلق بها اللؤلؤ والياقوت)) رواه أحمد وغيره .

---

(1)التهاويل جمع تهويل،وهو ما يهول الناظر ويدهشه بجماله وبداعة محاسنه،ويقال للرياض ذات الزهور المختلفة الألوان:التهاويل،والمراد هنا من تهاويل جبريل عليه السلام:مبدعات جماله التي جمّله الله تعالى بها،ودر أنواره التي حلاّه الله تعالى بها.

(2)قال في فتح الباري:وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف،وأنه حلةٌ،ويؤيده قوله تعالى:((متكئين على رفرف خضر))الآية وأصل الرفرف ما كان من الديباج_أي الحرير_رقيقا حسن الصنعة،ثم اشتهر استعماله في الستر،وكل ما فصل من شيء فعطف وثني فهو رفرف،ويقال:رفرف الطير بجناحيه إذا بسطها،وقال بعض الشراح:يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام بسط أجنحته فصارت تشبه الرفرف،كذا قال_أي بعض الشراح_والرواية التي أوردتها توضح المراد . ا ه كلام صاحب الفتح .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول اله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه:((فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض،فخشيت منه حتى هويت إلى لأرض فجئت إلى أهلي فقلت:زملوني زملوني،فدّثروني،فأنزل الله تعالى((يا أيها المدّثر.قم فأنذر.وربّك فكبّر،وثيابك فطهّر والرجز فاهجر)).

فهذا الملك هو جبريل عليه السلام الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل هذه المرة بقوله تعالى :((اقرأ باسم ربك الذي خلق ..)) الآيات الخمسة فإنها أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق ، ثم فتر الوحي فكان أول ما نزل بعد فترة الوحي خمس آيات من أول المدّثر .

خشية جبريل عليه السلام من الله تعالى

قال الله تعالى :((وهم من خشيته مشفقون)) .

روى الطبراني وابن حاتم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله [1].

وعن زرارة بن أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل:((هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل- أي ارتعد ارتعاداً شديداً من الهيبة- وقال يا محمد:إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور لو دنوت من بعضها لاحترقت)) قال صاحب المشكاة : هكذا في المصابيح ، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس إلا أنه لم يذكر فانتفض جبريل ا ه . قال الشارح : وفي الجامع برواية الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((سألت

---

(1)قال في مجمع الزوائد:رجاله رجال الصحيح .

جبريل هل ترى ربك ؟ فقال : إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت أدناها لاحترقتُ)) .

تلقي جبريل عليه السلام الوحي عن رب العالمين

واستغراق الملائكة من هيبة الوحي

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بأمر تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا سجداً ،فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ؛ فيمضي به جبريل عليه السلام على الملائكة فكلما مر بسماء سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال الحق ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض))[1] وهذه الرجفة الشديدة التي تأخذ السماوات من سطوات الهيبة هي المشار إليها بقوله تعالى :((حم عسق . كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم . له ما في السموات وما في الأرض ، وهو العلي العظيم . تكاد السموات يتفطرن من فوقهن)) - أي من سطوة الوحي الوارد عليهن من فوقهن ((والملائكة يسبّحون بحمد ربهم)) الآية

إكرام سيدنا رسول الله لجبريل الأمين عليه السلام

لقد كان لجبريل عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منزلة كريمة ومحبة عظيمة ، ورتبة مكينة ، وأخوة متينة ، فكان صلى الله عليه

---

(1)رواه الطبراني والبيهقي وابن جرير وابن خزيمة،وأصله في الصحيحين كما سيأتي،وانظر تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرهما.

وسلم كثيرا ما يخاطب جبريل عليه السلام بصيغة الأخوة فيقول:((يا أخي يا جبريل))وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر زيارته ويترقبها ويستزيده منها، حباً فيه واشتياقاً إليه ، كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام :((ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟)) فنزلت ((وما نتنزل إلا بأمر ربك،له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك،وما كان ربك نسيّاً)) . وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : أبطأ جبريل النزول على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين يوما- وفي رواية اثنتي عشرة ليلة- ثم نزل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :((ما نزلت حتى اشتقت إليك)) فقال له جبريل : بل أنا كنت إليك أشوق،ولكني مأمور،فأوحى الله تعالى إلى جبريل:أن قل له:((وما نتنزل إلا بأمر ربك)) . الآية كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسرائه إلى المسجد الأقصى ، يقوم بواجب تكريم النبي صلى الله عليه وسلم وحفاوته ، وإظهار فضل مقامه ورتبته ، وتقديمه صلى الله عليه وسلم إماما بالأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج كما صح في أحاديث المعراج،فكان يمشي في ركاب عزيز الجناب ويفتح له الأبواب ، ويفتتح له الخطاب عند التقائه صلى الله عليه وسلم بالأحباب- أي عند التقائه صلى الله عليه وسلم بإخوانه الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم- فكان جبريل عليه السلام يفعل ذلك قياما بواجب التعظيم والاحترام والتكريم،لمقام هذا الرسول الكريم إمام الأنبياء والمرسلين،وأكرم الأولين والآخرين على رب العالمين صلوات الله تعالى عليه وعلى جميع إخوانه النبيين .

إسرافيل عليه السلام وبعض وظائفه

خشيته من الله تعالى :عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم :((إن الله تعالى خلق إسرافيل منذ يوم خلقه صافاً قدميه لا يرفع بصره- أي من خشية الله تعالى- بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون نوراً ، ما منها نور يدنو منه إلا احترق [1])) . قال في المشكاة : رواه الترمذي وصححه .

إسرافيل يخير النبي صلى الله عليه وسلم بين مقامي الملكية والعبدية :

روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال :((يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ، ولا كف من سويق)) فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدّة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم ((أمر الله تعالى القيامة أن تقوم ؟)) فقال جبريل :لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك ، فاتاه إسرافيل فقال : إن الله قد سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك ، أسيّر معك جبال تهامة زمردا وياقوتاً وذهباً وفضة فإن شئت نبياً ملكا ، وإن شئت نبياً عبداً- ثلاثا- قال صلى الله عليه وسلم :((فأشار جبريل إلي بيده- أي تواضع- فعرفت أنه- أي جبريل- لي ناصح ، فقلت ،نبياً عبداً . ثم قال صلى الله عليه وسلم : فلو أني قلت نبياً ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً))[1]

إسرافيل عليه السلام يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاليد الدنيا :

روى الإمام أحمد وابن حبان والضياء برجال الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق- أي في لون سواد وبياض- جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس وفي رواية : جاءني به إسرافيل . قال الزرقاني : ولا تنافي بين ذلك لأنه من باب تعدد المجيء وأن كلاّ من جبريل وإسرافيل عليهما السلام جاء بذلك

أو أن الآتي بذلك جبريل وصحبه إسرافيل عليهما السلام . والظاهر هو الأول .

وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم مقام العبدية ولم يختر الملكية تواضعاً لله تعالى وعبوديةً له وتقرباً وتحبباً ، لأن مقام العبدية أحب إليه سبحانه وأقرب لديه ، ولكل مقام أحكام ومطالب نفصلها في غير هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وينبغي أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد انطوى له مقام الملكية في مقام العبدية ، غير أنه أخفاه ولم يظهر العمل بمقتضاه ، دلّ على ذلك حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن عفريتاً من الجن تفّلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة ،فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه كلكم ، فذكرت قول أخي سليمان ((رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي)) .

---

[1] ورواه البيهقي في الشعب وأبو الشيخ في العظمة ، كما في شرح المواهب والخصائص الكبرى وغيرهما .

إسرافيل عليه السلام يدعو الخلائق عن أمر الله تعالى فيخرجون من قبورهم :

قال الله تعالى :((ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)) .

والمعنى : ومن آياته الدالة على وجود ذاته وكمال صفاته ، قيام السماء والأرض على هيئتهما الوجودية وكيفيتهما الكونية ، بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدّره لهما ، ثم إذا دعاكم بعد انقضاء ذلك الأجل المسمى- وأنتم في قبور الأرض- دعوة واحدة إذا أنتم تخرجون سراعاً .

وإسرافيل عليه السلام هو الذي يدعو الخلائق بأمر الله تعالى قال تعالى :((فتوّل عنهم يوم يدعُ الداعِ إلى شيئ نكر .خشّعاً أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع ، يقول الكافرون هذا يوم عسر)) .

جاءت هذه الآيات بعد قوله تعالى :((وإن يروا آية يعرضوا يقولوا سحر مستمر)) . والمعنى

: فأعرض عن أولئك المعرضين عن الإيمان بآياتنا بعدما رأوها ، وأنذرهم يوم يدعُ الداعي إلى شيء نكر- أي فظيع تنكره النفوس- وهو هول الموقف

يوم القيامة ، وما فيه من البلاء والكرب والشدائد عياذا بالله تعالى ((خشعاً أبصارهم)) أي ذليلة أبصارهم ((يخرجون من الأجداث))- أي القبور- ((كأنهم جراد منتشر)) في كثرتهم وتموجهم وانتشارهم وسرعة سيرهم إلى المحشر((مهطعين إلى الداع))- أي مسرعين إليه متوجهين صوبه مادي أعناقهم نحوه .

وإسرافيل عليه السلام هو المنادي في الخلائق يوم القيامة ، قال الله تعالى

:((واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب))- أي قريب من الخلائق ، ليأخذ النداء منهم كل مأخذ ، ويؤثر فيهم كل التأثير ((يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج))- أي من القبور- روي : أن إسرافيل عليه السلام ينادي : ياأيتها العظام النخرة ، والجلود المتمزقة ، والأشعار المتقطعة ، إن الله تعالى يأمرك أن تجتمعي لفصل الحساب [1]،ويروى : إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

إسرافيل عليه السلام هو صاحب القرن- وهو الصور- الذي ينفخ فيه :

قال الله تعالى : ((ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون)) .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام ، فروى الترمذي وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((كيف أنعم- أي كيف أتنعم بنعيم الدنيا- وقد التقم صاحب القرن القرن[2] وحنا جبهته ينتظر أن يؤمر فينفخ ؟ !)) ، فكأن ذلك ثقل على الصحابة فقالوا : يا رسول الله كيف نفعل أو كيف نقول ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكلنا على الله . وربما قال : على الله توكلنا)) .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إسرافيل صاحب الصور ، وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وهو

---

(1)رواه ابن عسكر والواسطي وابن جرير ، كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرهما .

(1)المراد بالقرن هنا الصور الذي هو مجمع الأرواح بعد مفارقة الأشباح،وهو عالم كبير ليس كرويا، بل هو على شكل القرن .

(2)رواه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والشعب وأبو الشيخ في العظمة ، كما في الدر المنثور وغيره .

بينهما [1]))

حول ميكائيل عليه السلام

إن لميكائيل عليه السلام مناصب عديدةً ، فمنها : أنه أحد وزيري سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء . كما روى الترمذي بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :((إن لي وزيرين من أهل السماء ، ووزيرين من أهل الأرض ؛ فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر)) .

قال العلامة القرطبي : في الحديث دليل على أن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو أفضل من جبريل وميكائيل عليهما السلام ا هـ قال عبد الله : وهذا استنباط حسن وكلام حق ، لأنه حيث كان جبريل وميكائيل في المنزلة عنده صلى الله عليه وسلم منزلة الوزيرين ، فمنزلته صلى الله عليه وسلم عندهما منزلة الرئيس النبيل والآمر الأصيل صلى الله عليه وسلم،وإن شأن الوزير أن يشد الأزر عند احتدام الأمر .قال الله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام :((واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري)) وموسى أفضل من هارون عليهما السلام .

وقد روى الطبراني والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً :((إن الله تعالى أيدني بأربعة وزراء ، اثنين من أهل السماء :جبريل وميكائيل ،واثنين من أهل الأرض : أبو بكر وعمر)) .

ومن أجل هذا المنصب الوزاري نزل جبريل وميكائيل عليهما السلام يوم

أحد يقاتلان إلى جانبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى شماله يوم أحد رجلين ، عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد . يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقول سعد رضي الله عنه ما رأيتهما قبل- لا ينافي ما ورد في البخاري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر :((هذا جبريل برأس فرسه عليه أداة الحرب))- أي حامل السلاح- فيحتمل أن سعداً لم ير جبريل يوم بدر .

وجاء في حديث الطبراني والبيهقي وغيرهما هم ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في جملة من حديث طويل :((قلت : يا جبريل على أي شيئ أنت ؟- أي على أي شيئ ولاك الله تعالى في جملة ما أمرك به- قال :

على الرياح والجنود.قلت:على أي شيئ ميكائيل؟فقال:على النبات والقطر[1])) .

حملة العرش المجيد

قال الله تعالى :((الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ..)) الآية .

فأخبر سبحانه أن للعرش حملة يحملونه تعززاً وتشرفاً ، وفي ذلك مظهر لسلطان الملك ، ومقام هيبة الربوبية .

كما بين سبحانه عدة حملة العرش فقال :((والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)) فحملة العرش يوم القيامة هم ثمانية بنص

---

(1)وقد أورد هذا الحديث صاحب الدر المنثور وقال:سنده حسن . أي لغيره لاعتضاده بشواهد متعددة .

الآية ، ولكن اختلف في عددهم الآن . فقال بعضهم : هم الآن أربعة واستدلوا بما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن زيد مرفوعاً :((إن العرش يحمله اليوم أربعة ، ويوم القيامة ثمانية)) .

وقال بعضهم : هم الآن ثمانية أيضا ، واستدلوا بما رواه ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عمر قال : حملة العرش ثمانية ، ما بين أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

واختلف في المراد بالثمانية ؟ فقائلون بأنهم ثمانية من الملائكة ، وقائلون بأنهم ثمانية صفوف من الملائكة . فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى :((ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية))قال: ثمانية صفوف من الملائكة ، لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى .

روي أن أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، على حلمك بعد علمك ، وتجيبهم الأربعة الثانية : سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك . والله تعالى أعلم .

عظمة حملة العرش : روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه- أي كتفه- مسيرة سبعمائة عام)) .وجاء في رواية الطبراني :((أن ما بين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة،يقول:سبحانك حيث كنت)).وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة،والعرش على منكبيه ،

وهو يقول : سبحانك أين كنت وأين تكون [1])) .

هيبة حملة العرش ومن يلونه من سطوات الأوامر الإلهية :

قال الله تعالى :((ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فزع عن قلوبهم [2] قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلي الكبير)) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه- وفي رواية عبد الرزاق : من الأنصار- فرمي بنجم فاستنار- أي أضاء الشهاب- فقال صلى الله عليه وسلم :((ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟)) قالوا : كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . فقال صلى الله عليه وسلم ((فإنها لا يرمى بها لموت أحدٍ ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش ، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش ، فيقولون الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، وتخطف الجن السمع فيرمون- أي ترميهم الملائكة بالشهب- فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون [3])) .

---

(1)والمعنى : سبحانك في قدمك الذي لا أول له،وسبحانك في بقائك الذي لا آخر له،قال في مجمع الزوائد:رجاله رجال الصحيح ا ه .

(2)التفزيع : إزالة الفزع،فصيغة التفعيل هنا للسلب،والمعنى:حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الملائكة المتسبب عن سطوات الأوامر،الصادرة عن مقام العلي الكبير،ذي العظمة والكبرياء .

(1) يعني أن الجن المسترقين للسمع تلك الكلمة من ملائكة السماء الدنيا فيزيدون فوقها مائة كذبة ويصدقون بتلك الكلمة التي سمعوها ويكذبون بما وراءها .وهذا الحديث رواه مسلم واللفظ له والأمام أحمد والترمذي والنسائي .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه و سلم قال:((إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا : بعضه فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء)) .

وظائف حملة العرش ومن حوله :

قال الله تعالى :((الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا:ربنا وسعت كل شيئ رحمة وعلماً ،فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك،وقهم عذاب الجحيم.ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم،إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم)) .

يخبر الله سبحانه عن حملة عرشه ومن حوله أنهم ملازمون لتسبيحه وتحميده سبحانه ، ودائبون على الإيمان به ، والاستغفار للمؤمنين . أما التسبيح فهو تنزيه الله تعالى عمالا يليق ، وأما التحميد فهو إثبات المحامد له سبحانه لكماله ولنواله ، وذلك أن الله تعالى يستحق الحمد على كمالاته الذاتية وصفاته العلية ، وعلى إحسانه وإنعامه وبره وإفضاله على سائر مخلوقاته .

وقوله تعالى ((ويؤمنون به))- أي يؤمنون به إيماناً عملياً - وهو قيامهم

بأنواع العبادات التي يعبدون الله تعالى بها ، من سجدات وصلوات ونحو ذلك من التعبدات العملية التي يأمرهم الله تعالى بها .

وذلك لأن الإيمان قد يطلق على الإيمان العملي المبني على الإيمان الإعتقادي كالصلاة ونحوها ، قال تعالى :((ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)) الآية ، قال بعض السلف : المراد بالإيمان هنا الأعمال التعبدية كما قال تعالى :((وما كان الله ليضيع إيمانكم)) أي أعمالكم التعبدية المبنية على الإيمان الإعتقادي التصديقي ، وقد نزلت هذه الآية في الصلاة ، كما صحح الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟- أي ما حكم صلواتهم الماضية قبل التحول إلى الكعبة المشرفة- فأنزل الله تعالى :((وما كان الله ليضيع إيمانكم)) الآية . أي صلاتكم ونحوها من بقية الأعمال الإيمانية [1].

وعلى هذا فقد وصف سبحانه حملة العرش ومن حوله بأنهم دائبون على التسبيحات والتحميدات القولية ، دائمون على العبادات العملية ، كما وصفهم سبحانه بقوله ((ويستغفرون للذين آمنوا)) لمناسبة الإيمان الجامعة بينهم . فإنها جعلت بينهم ولاءً ومحبة وشفقة ونصيحة ، فهم يقولون ((ربنا وسعت كل شيئ رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا)) والمعنى أنهم سألوا الله تعالى متوسلين إليه بسعة رحمته كل شيء وهي الرحمة المعنية باسم ((الرحمن)) الذي عمت رحمته كل شيء : العرش والفرش قال الله تعالى ((الرحمن

---

(1)وذلك لأن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ،ولكن سبب النزول هو قطعي الدخول في الآية،فجميع الأعمال الشرعية العقيدية داخلة في قوله تعالى ((وما كان الله ليضيع إيمانكم))كما قال تعالى ((فاستجاب لهم ربهم إني لا أضبع عمل عامل منكم)) الآية .

على العرش استوى)) . ومتوسلين إليه بسعة علمه وإحاطته بكل شيء أن يغفر سبحانه للذين تابوا- أي رجعوا إلى الله عما لا يرضاه- .

((واتبعوا سبيلك)) أي صراط شرعك الذي أقمته لهم وأمرتهم أن يتبعوه ويمشوا على منهاجه دون أن يعدلوا عن سنن استقامته إلى المنحرفات والمعوجات . قال تعالى :((وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، وذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) .

((وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم)) وفي هذا تمام الفضل والنعمة عليهم ، وذلك بأن يقيهم الله تعالى عذاب الجحيم ويتفضل عليهم فيدخلهم جنة النعيم ، إذ لو وقاهم العذاب وحده ولم يدخلهم الجنة لبقوا على السور بين الجنة والنار . فسبحان الكريم الغفار .

((ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم)) وفي هذا الدعاء قرة أعين المؤمنين التائبين المتبعين سبيل ربهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فيدخل من صلح منهم الجنة إلحاقاً بهم ، ليزداد نعيمهم ويتضاعف سرورهم من جميع الوجوه والإعتبارات . قال تعالى ((والذين آمنوا)) أي إيماناً عظيماً ((واتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ)) أي دون إيمان آبائهم ((ألحقنا بهم ذريتهم))[1] الآية .

((وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم)) وهذا دعاء لهم أن يحفظهم الله تعالى من السيئات في الدنيا

---

(1)وهذا دليل على أن النسب الصالح ينفع،فبه يلحق المتابع المقصر في عمله بأصوله المجدين في أعمالهم،وأما المبطئ في عمله عن السير والمتابعة فقد قال صلى الله عليه وسلم :((ومن بطأ به لم بسر عبه نسبه)). وفي قوله تعالى ((وكان أبوهما صالحاً))دليل صريح على نفع النسب الصالح،فإنه سبحانه أمر الخضر عليه السلام أن يقيم الجدار_أي يرفعه مستقيما بعد ميله للهبوط_حفظاً لكنز اليتيمين تحته،إكراما لأبيهما الصالح .

والآخرة ،فلا يسوء لهم حال ولا يساء لهم وجه ، ومن وقاه الله تعالى السيئات يوم القيامة فقد رحمه الله برحمته الخاصة المعنية في قوله تعالى ((وكان بالمؤمنين رحيماً)) وقوله ((يختص برحمته من يشاء)) ، ((وذلك هو الفوز العظيم)) اللهم اجعلنا منهم .

فما أكرم المؤمنين على ربهم ! إنهم لتستغفر لهم حملة العرش ومن حوله ويدعون لهم بكل خير ، ويسألون الله تعالى لهم كل سعادة وبر ، ولمن يلوذ بهم من الآباء والأزواج والذرية . وما كان ذلك إلا عن أمر الله تعالى لهم بذلك ، لأن الملائكة لا يسبقونه تعالى بالقول وهم بأمره يعملون .

إعلام رب العالمين حملة العرش بحبه ورضاه عمن ارتضاه ، وغضبه على من أغضبه ، ثم تنزل ذلك في العوالم السماوية والأرضية

قال الله تعلى :((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً[1])) .

روى الإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك ، فيقول الله

---

(1)في هذه الآية إعلام الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات_وهي الأعمال الخالصة له المتابعة لشرعه_بأنهم سيجعل لهم ودّاً ،أي حبا ثابتاً ممكنا في قلوب أهل الملأ الأعلى والسماوات والأرض،وذلك أنه لما أحبوه وأطاعوه أحبهم،فلما أحبهم حببهم إلى عباده المؤمنين .وقد روى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة،وكان الله بكل خير إليه أسرع))،وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله،أنه قال:قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها،فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائماً يصلي ،وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج منه،فكان لا يعظم_أي عند الناس_فمكث بذلك سبعة أشهر فكان لا يمر على قوم إلا قالوا :انظروا إلى هذا المرائي،فأقبل على نفسه فقال:لاأراني أذكر إلا بشر،لآجعلن عملي كله لله عز وجل_أي مخلصاً_فلم يزد على أن قلب نيته،ولم يزد على العمل الذي كان يعمله فكان يمر بعد بالقوم فيقولون :رحم الله فلاناً الآن وتلا الحسن البصري قوله تعالى :((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الحمن ودّاً)) .

عز وجل لجبريل : إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي عليه ، فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ، ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ، ثم يهبط إلى الأرض- زاد ابن مردويه في روايته عن ثوبان : فقال صلى الله عليه وسلم :((وهي الآية التي أنزل الله في كتابه ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً))- وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله : يا جبريل إن فلاناً يسخطني ، ألا وإن غضبي عليه ، فيقول جبريل : غضب الله على فلان ، ويقوله حملة العرش ، ويقوله من دونهم حتى يقوله أهل السماوات السبع ، ثم يهبط- أي القول بذلك- إلى الأرض)) .

وروى مسلم- والبخاري والترمذي باختصار- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال :إني أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ؛ فيقول:إن الله يحب فلاناً فأحبوه؛فيحبه أهل السماء،قال ثم يوضع له القبول في الأرض؛وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول:إني أبغض فلاناً فأبغضه ،قال فيبغضه جبريل،ثم ينادي في أهل السماء:إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال فيبغضونه ثم ، توضع له البغضاء في الأرض)) .

وروى أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن المقة- أي المحبة- من الله تعالى ، والصيت من السماء ، فإذا أحب الله عبداً قال لجبريل : إني أحب فلاناً ..)) الحديث .

الملأ الأعلى - النّدي الأعلى - الرفيق الأعلى

هم أشراف الملائكة ومقرّبوهم . قال الله تعالى :((قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون . ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون . إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين)) .

والمقصد في هذه الآيات إقامة الحجة القاطعة على حقية نبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم جاء يخبر بأمور لم يكن قبل ذلك يعلمها حتى أنزل الله تعالى الوحي فأعلمه بذلك .

فقال سبحانه :((قل)) يا محمد محتجاً على المنكرين لنبوتك ((هو)) أي القرآن أو النبوة وكلاهما متلازمان ومستلزمان لبعضهما ((نبأ عظيم أنتم عنه معرضون)) لتمادي غفلتهم وعدم تفكركم ، فإن العاقل لا يعرض عن مثل هذا النبأ العظيم والأمر القويم ، بل شأن العاقل أن يفكر فيه ويعتبر ، فإن ذلك يحمله على أن يؤمن بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي جاء به ، وأنه حقاً رسول الله ، وأن هذه القرآن حقاً هو كلام الله تعالى ، ولا يحتمل غير ذلك ، لأنه ((ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون)) .

يعني أنه صلى الله عليه وسلم قبل أن ينبأه الله تعالى وينزل عليه القرآن ما كان عنه علم باختصار الملأ ، وما يجري بينهم من التقاول في قضية آدم ، وقضية اعتبارات أعمال بني آدم : من الكفارات والدرجات وتنزيلها في منازلها وإعطائها استحقاقاتها ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يكن عند علم بجميع ذلك قبل أن ينبأه وينزل القرآن عليه ، لأنه كان أمياً صلى الله عليه وسلم ، فلم يقرأ الكتب الماضية ولم يسمعها من أهلها ، فمن أين جاء بهذه العلوم الوافرة الكثيرة التي من جملتها العلم باختصار الملأ الأعلى ؟ إذا حقاً إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إليه وعلمه ذلك كله .

روى أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج صلى الله عليه وسلم سريعا فثوّب بالصلاة ، فصلى وتجوز- أي أسرع- في صلاته فلما سلم صلى الله عليه وسلم قال

:((كما أنتم على مصافّكم))- أي لا تفارقوا مكانكم- ثم أقبل إلينا فقال :((إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمت من الليل فصليت ما قدّر لي فنعست في صلاتي حتى إستيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة[1]

، فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يارب فأعادها ثلاثاً . فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي[2] ، فتجلى لي كل شيء ، وعرفت - وفي رواية الترمذي : فعلمت ما في السماوات وما في الأرض - فقال : يامحمد فيم يختصم الملأ الأعلى[3] ؟ قلت:

في الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام[4] . ثم قال : سل . قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ،

---

[1] قال ابن الأثير في جامع الأصول : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيئ وهيئته ، وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا وكذا ، لصفته ، فيكون المراد بما جاء في الحديث : إنه أتاه في أحسن صفة ، ويجوز المعنى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أي أتاني ربي وأنا في أحسن صورة ا ه قال عبد الله : ومما يؤيّد أن الصورة قد يراد بها الصفة قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر)) أي على صفته في النور والإضاءة ، وليس المراد هيئته المستديرة .

[2] في هذا رموز وإيماءات إلى إفاضات وتجليات فيها إنكشافات ومشاهدات وعلوم وإطلاعات ، فسبحان من تنزه عن الكميات والكيفيات ! .

[3] قال ابن الأثير : الملأ هم أشراف الناس وشادتهم وأراد هنا بالملأ الأعلى الملائكة المقربين ا ه .

[4] فاختصام الملأ الأعلى هو التقاول الذي يجري بينهم في شأن الكفارات والدرجات من الأعمال والأقوال على اختلاف أنواعها فيتباحثون في الدرجات واستحقاقاتها ومقتضياتها وأيها أحب إلى الله تعالى ، وأيها أعظم درجة وأكثر ثواباً وفي الكفارات

وترك المنكرات ، وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك . وقال صلى الله عليه وسلم : إنها حق فادرسوها وتعلموها[1]

)) .

الندي الأعلى [2]

ويقال للملأ الأعلى : الندي الأعلى ، وذلك باعتبار إجتماعهم في مجتمع عالي الرتبة ، رفيع المكانة ، للتباحث في تدابير الأمور باذنه تعالى ، وللنظر في مخولات اعمال المؤمنين واستحقاقاتها ، وغير ذلك مما يتعلق بالأكوان عامة .

روى أبو داود عن أبي الأزهر الأنماري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال :((بسم الله ، وضعت جنبي لله ، اللهم اغفر لي ذنبي ، واخسأ شيطاني[3]، وفك رهاني [4]، واجعلني في الندي

ومقدار ما تكفر من الذنوب وتقي من العقوبات ، فيجري بينهم التقاول في ذلك ثم يرفع الأمر إلى رب العزة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فيحكم حكمه في ذلك ولا معقب لحكمه جل وعلا .

[1] ورواه الترمذي عن ابن عباس وقال حسن صحيح ، وروي النسائي بعضه والحاكم وقال على شرطهما .

[2] ذكر في النهاية أن الندي بالتشديد النادي وهو : مجتمع القوم ، وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله ، والمراد بالندي الأعلى : الملأ الأعلى من الملائكة .

(1)أي اجعله خاسئا مطروداً ،يقال خسأت الكلب :طردته.

(2)أي خلصني من عقال ماقترفت من الأعمال التي لا ترتضيها،وذلك بالعفو عنها والرهان هو الرهن،وهو ما يجعل وثيقة في الدين،والمراد هنا النفس لأنها مرهونة بعملها قال تعالى ((كل نفس بما كسبت رهينة)) وهذا تعليم لاتباعه صلى الله عليه وسلم أن يدعوا عند النوم الدعاء الجامع لخير الدنيا والآخرة ولأنه سبب في عروج روح النائم إلى الندي الأعلى،كل على حسب مقامه. وصلي الله على معلم الناس الخير وسلم .

(3)أي بالأعمال الصالحة .

الأعلى)) ورواه الحاكم بزيادة ((وثقّل ميزاني [1])) .

الرفيق الأعلى

ويسمى الملأ الأعلى : الرفيق الأعلى لما روى الشيخان- واللفظ للبخاري في الدعاء- عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح [2]:((لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة أو يخيّر)) فلما نزل به ، ورأيته على فخذي غشي عليه صلى الله عليه وسلم ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال :((اللهم الرفيق الأعلى)) وفي رواية للبخاري عن عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحّة يقول ((مع الذين أنعم الله عليهم .)) الآية . وفي رواية أحمد : ((اللهم مع الرفيق الأعلى ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، إلى قوله : رفيقاً))

وعند النسائي وابن حبان في صحيحه فقال : ((أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل)) . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت إذا لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح ، [3]فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها صلى الله عليه وسلم ((اللهم الرفيق الأعلى))

---

(4)أي قبل أن يمرض مرض الوفاة صلى الله عليه وسلم .

[3] نقل السهيلي عن الواقدي أن أول كلمة تكلم بها صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة : ((الله أكبر)) وآخر كلمة تكلم بها كما في حديث عائشة ((في الرفيق الأعلى)) وروى الحاكم من حديث أنس أن آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم : ((جلال ربي الرفيع)) . اهـ نعم ، هذا مع ربه ، وأما آخر ما تكلم به من وصاياه لأمته : ((الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)) .

الكروبّيون

قال الله تعالى : ((لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون)) .

الكروبيّون بتخفيف الراء . قال في القاموس : هم سادة الملائكة، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وهم المقربّون ، من : كرب إذا قرب ا ه وقال في النهاية : وفي حديث أبي العالية ((الكروبيّون سادة الملائكة)) وهم المقربّون ا ه .

وفي شرح المواهب نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنه سئل ابن دحية : هل يعرف الكربيون لغة أم لا ؟ فقال: الكربيون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقربون ، من: كرب إذا قرب ، أنشد أبو علي البغدادي: كروبية منهم ركوع وسجد ، وقال العلامة الطيبي عن بعض العلماء : في هذه اللفظة : ((الكروبيين)) ثلاث مبالغات أحدها : أن كرب أبلغ من قرب ، وضع موضع كاد . والثانية : أن على وزن فعول وهو للمبالغة . والثالثة : زيادة الياء وهي تزاد للمبالغة كأحمري ا ه . فهذا يدل على أن الكروبيين هم المقربون من الملائكة عليهم السلام بالقرب الخاص المشار إليهم في قوله تعالى ((لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون)) وإنما ذكر عيسى عليه السلام في سياق المقربين ، لأنه من المقربين بالقرب الخاص أيضاً قال تعالى :((إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ن وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين)) فما أشرف المقربين عند رب العالمين ! هو الحبيب الأكرم والسيد الأفخم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب مقام قرب الوسيلة وقلب الفضيلة .

المهيّمون

هم الأرواح المهيّمة في جلال الله تعالى ، لا يشعر أحد منهم بغيره ، بل و لا بنفسه،لأنهم هائمون بربهم لا يعلمون غيره وليس لهم وجهة لسواه أصلاً ، وذلك لأنه تجلى عليهم فهيّمهم به عن كل شيء ، وهؤلاء يسمون عند العارفين ب ((العالين)) أي الذين لم يتناولهم الأمر بالسجود لآدم ، لأنهم لا علم لهم بآدم عليه السلام ولا بغيره ، قال تعالى إنكاراً على إبليس لما تخلف عن السجود لآدم :((قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ! أستكبرت أم كنت من العالين ؟!)) .

ولما كانوا مهيّمين بربهم عن أنفسهم كليّاً ، كانت عبادتهم لربهم بالذات لا بالأمر ، كما ذكره الشيخ الأكبر رضي الله عنه في مواضع من الفتوحات ، وذلك لأن الأمر التعبدي يتطلب مأموراً له شعور بنفسه ، وهؤلاء قد أخذوا عن أنفسهم وهيّموا بربهم تبارك وتعالى .

مقام من عنده

قال تعالى :((وله من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون)) وقال تعالى: ((إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحون وله يسجدون)) .

وهذا مقام شريف ومنصب منيف ، مدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم ، وهذا المقام يشمل الملأ الأعلى وغيرهم .

وفي هذا المقام يذكر الله تعالى أهل القرآن والذاكرين الله تعالى كلاً حسب رتبته . قال تعالى :((فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)) .

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال :((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفهم الملائكة وذكرهم فيمن عنده ..)) الحديث

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد كلاهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :((إن لأهل ذكر الله تعالى أربعاً : تنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتحف بهم الملائكة ، ويذكرهم الرب فيمن عنده)) .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنواع ذكر العبد لربه ،وما يقابل ذلك من الله تعالى لعبده ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((يقول الله عز وجل : أنا عند ظنّ عبدي بي[1] ،و أنا معه حين يذكرني[2] - وفي رواية : إذا ذكرني- فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة[3])) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسام قال :((قال

---

(1)أي فليظن العبد بربه خيراً فإن الله تعالى عند ظنه .

(2)فليراقب الذاكر معية الله له حين يذكر ربه ،وليعطها حكمها من الهيبة والخشية،فإنها معية خاصة حين الذكر،غير المعية العامة لجميع أكوان العبد وأحواله المنبه عليها بقوله تعالى ((وهو معكم أينما كنتم)) الآية ، فإنها لها أحكامها أيضا من المحاسبة والمراقبة ونحوهما .

(3)وهذه كنايات عن مضاعفات تقرب الرب من عبده أضعاف تقرب العبد من ربه ، فضلاً منه ونعمة وكرماً منه سبحانه ومنّة ، وفي هذا تنشيط للمتقربين أن ، يزيدوا في التقرب ليزيدهم في القرب . والتقرب إلى الله تعالى إنما هو بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة ، كما في الحديث القدسي .((وما تقرب إلي عبدي بشيئ أحب إليّ مما افترضته عليه ،ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))وفي معنى الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم قال :((وما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل كلامه)) الحديث .

تعالى يابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً ، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الذين تذكرني فيهم وأكثر [1])) .

ذكر الله تعالى لعباده : ذلك هو مدحه تعالى لهم وثناؤه عليهم في مقام من عنده بين الملائكة الكرام والأرواح العظام ، وفي ذلك مباهاته تعالى للملائكة ، وتنويهه سبحانه بذكر أحبابه وذاكريه ، وتسجيل ذلك عنده وإعلان هذا الثناء فيمن عنده .

قال الله تعالى :((واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار [2] .إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار [3] وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار ، وإن للمتقين لحسن مآب)) .

ومعنى ((هذا ذكر)) أي هذا ذكرنا بالمدح والثناء والتفضيل والعطاء للأصفيائنا ومقربينا ، فيه شرفهم وإعلان فضلهم ، و إعلام برفعة قدرهم وعلو منزلتهم عند ربهم سبحانه .

خزنة الجنة

قال الله تعالى:((وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين [1])).

---

(1)رواه البيهقي وابن أبي الدنيا واليزار .

(2)أي ألي القوة في عبادة الله تعالى وطاعة أوامره ،والأبصار أي البصائر في فهم دين الله تعالى وتلقي العلوم الآلهية والمعارف الربانية .

([3])والمعنى إنا بفضلنا أخلصناهم أي جعلناهم خالصين مخلصين لنا في جميع أمورهم .وأحوالهم بسبب خصلة أصلناها فيهم خالصة من كل الشوائب ،وهي ذكراهم الدار التي فيها نعيم الرؤية وكريم الجوار،وما هنالك من كل ما تشتهيه أنفس الصالحين وتختار،فإن تلك الدار هي في الحقيقة الدار،وما قبلها تقلبات وأسفار ولكن الألبّاء والعقلاء يبحثون عن الجار قبل الدار،قال تعالى في مدح السيدة آسية عليها السلام:((رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة))،فطلبت الجوار وهو العندية قبل الدار وهو البيت.فافهم ذلك،ألحقنا الله بأؤلئك.

الخزنة جمع خازن ، مثل حفظة جمع حافظ ، وهو المؤتمن على الشيء قد استحفظه؛فعلى كل باب من أبواب الجنة الثمانية خزنة وكلوا بذلك يستقبلون المؤمنين حين دخولهم،ويرحبون بقدومهم ويكرمون بالتحيات والاحترامات وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير . فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((نعم ، وأرجوا أن تكون منهم)) .

ورئيس أولئك الخزنة هو رضوان ، وقد أمره الله تعالى أن لا يفتح أبواب الجنة لأحد قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو فاتحة الخيرات كلها ، والذي هو إمام الأولين والآخرين وأكرمهم على رب العالمين فحق له أن يتقدمهم إماماً وفاتحاً لمن وراءه أبواب الجنة .

روى مسلم وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(1)في هذا تنبيه إلى وجه المناسبة بينهم وبين الجنة الطيبة،ووجه استعدادهم إليها،وذلك أنهم طابوا قلوباً بالإيمان والمعرفة بالله تعالى ومحبته،لما ثبتت الكلمة الطيبة في قلوبهم_وهو لا إله إلا الله_ثبوت الشجرة في الأرض ثم امتداد شعبها وأينعت ثمراتها قال تعالى ((ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء))الآية.وطابت أقوالهم بالكلم الطيب قال تعالى(إليه يصعد الكلم الطيب)وطابت أجسامهم بالأعمال الطيبة الصالحة،وطابت نفوسهم من خبث الهوى ودنس الشهوات المحرمة . وفي هذا تنبيه لمن أراد أن يطيب من كل الأعتبارات والحيثيات،فعليه أن يلتزم شريعة الله تعالى النازلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسلم قال :((آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من ؟ فأقول محمد فيقول- الخازن- بك أمرت- أي أمرني الله تعالى - أن لا أفتح لأحد قبلك)).

وسمي رئيس الخزنة ((رضواناً)) ليكون لأهل الجنة عنواناً،فهو مشتق من الرضا ،لأن أهل الجنة رضي الله عنهم ورضوا عنه قال تعالى :((جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه)) .

وفي اسم رضوان عنوان البشائر لأهل الجنة ، بأنهم سيعطون ويتحفون بالإكرام والإفضال والإنعام ، بحيث يرضون بذلك وتقر أعينهم . قال الله تعالى :((ليدخلنهم مدخلاً يرضونه ، وإن الله لعليم حليم)) .

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : يا أهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ! فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)) .

فلقد أعطاهم حتى أرضاهم ، ثم تجلى عليهم برضوانه الأكبر فأحله عليهم ، وهذا أحب ما يكون إليهم . اللهم اجعلنا منهم .

فإذا دخل أهل الجنة قصورهم ونزلوا منازلهم ،وتوافدت عليهم وفود الملائكة الكرام عليهم السلام يحيونهم ويثنون عليهم . قال الله تعالى :((جنات عدن يدخلونها ومن صلح [1] من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ،والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار [1]))

---

(1)وقد فسر ابن عباس ومجاهد وغيرهما ((من صلح)):بمن آمن،وقد قال ابن جبير:يدخل الرجل الجنة،فيقول:أين أمي،أين ولدي،أين زوجتي ؟فيقال:لم يعملوا مثل

ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سماطان- أي صفان- من خدم ، وعند طرف السماطين باب مبوّب ،فيقبل الملك- من الملائكة الوافدين- فيستأذن فيقول - أي الخدم للذي يليه- :ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا له ، فيقول أقربهم للمؤمن : ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له ، حتى يبلغ أقصاهم عند الباب ، فيفتح له فيسلم ثم ينصرف[٢].

خزنة النار

قال الله تعالى :((وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ، حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها :ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟قالوا:بلى،ولكن حقتّ كلمة العذاب على الكافرين. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين)) .

يخبر سبحانه عن حال الكفار يوم القيامة أنهم يساقون إلى جهنم زمراً أي

عملك،فيقول:كنت أعمل لي ولهم،ثم قرأ هذه الآية .وهذا يدل على أن النسب الصالح ينفع كما تقدم .

(1)حيوهم بالسلام وأثنوا عليهم بصبرهم،ويدخل فيه أنواع الصبر كلها:صبرهم على عبادة الله تعالى واخضاع نفوسهم واطمئنانها اليها،قال تعالى (واصطبر لعبادته)وقال في الصلاة(واصطبر عليها)،وصبرهم عن المعاصي والمخالفات وصبرهم على ما أصابهم قال تعالى(والصابرين على ما أصابهم)الآية،ثم مدحوهم بحسن عاقبة الدار فقالوا لهم :((فنعم عقبى الدار))أي فنعم عقبى الدار وهي الجنة التي وعدهم بها الله تعالى في الآية قبلها فقال:((أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن))الآية.ويدخل في هذا حسن عاقبة دنياهم أيضاً،ولذا قال البيضاوي وغيره في تفسيره(لهم عقبى الدار):عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون ما آل أهلها وهي الجنة ا ه ومن دعائه صلى الله عليه وسلم :((اللهم حسّن عاقبتنا في الأمور كلها،وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الأخرة))آمين.

(2)رواه ابن جرير وابن حاتم وابن المبارك بأسانيد متعددة،وله شواهد من المرفوعات رواها الإمام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه عن ابن عمرو .انظر المسند وتفسير ابن كثير والدر المنثور وغيره ذلك .

أصنافاً حسب نوعية كفرهم ونسبة ضلالهم ، فمناسبة الضلال بينهم ومشابهة الطغيان هي التي جمعت بينهم ((حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها)) يعني أنهم حين وصولهم جهنم يفاجؤون بفتح أبوابها ومنظرها الفظيع مباغتة لهم ، وذلك أشد في العذاب وأعظم في الخزي لهم ثم يقول لهم خزنتها- الزبانية الغلاظ الشداد- على وجه التقريع والتأنيب بدل التكريم والترحيب :

((ألم يأتكم رسل منكم)) أي من جنسكم ونوعكم البشري بحيث يخاطبونكم وينصحونكم ويبينون لكم أساليب الهدى وطرق الرشاد والسداد،وأنتم تشاهدون أفعالهم وتسمعون أقوالهم ، ويمكنكم أن تأخذوا عنهم وتفهموا منهم ؟ ((يتلون عليهم آيات ربكم)) أي يتلون عليكم آيات الله التدوينية ،المشتملة على الحجج اليقينية ، ويستعرضون لكم آياته التكوينية،وما فيها من لبراهين القطعية ، وكلها تشهد بحقية ما دعوكم إليه .

((وينذرونكم لقاء يومكم هذا)) أي يحذرونكم عذاب هذا اليوم وحسابه ((قالوا بلى)) أي قد جاؤونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج وأوضحوا لنا الأدلة ، بحيث يلزم السامع أن يتقبله ، والعاقل أن يتعقله . أي ولكنهم أعرضوا عن ذلك حجوداً وكبراً ، وطغياناً وكفراً ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ((وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير ،فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير)) .

وهنا ((قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين)) أي لأنهم كفروا وأعرضوا عن قبول الحق ، وكذبوا به ، واتبعوا أهواءهم الباطلة .

ويسمى رئيس خزنة النار ((مالكاً)) قال تعالى ((ونادوا يا مالك ليقضي علينا ربك . قال: إنكم ماكثون)) .

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديثه عن

الاسراء واجتماعه بالأنبياء قال : ((فحانت الصلاة ، فأممتهم - أي صرت لهم إماما - فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت إليه فبدأني بالسلام)) .

وروى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديثه عما رآه في منامه :((قال فانطلقنا ، فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راءٍ ، فإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها)) ثم قيل له صلى الله عليه وسلم :((وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن النار ..)) الحديث .

صفات خزنة النار :

قال الله تعالى :((يا أيها الذين آمنوا قوّا أنفسكم وأهليكم [1] ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون)) .

والمعنى أن خزنة النار الموكلين بتعذيب من يدخلها هم غلاظ الأقوال شداد الأفعال ، كما أنهم غلاظ الخلق شداد الخلق . روى عبد الله بن أحمد في زوائد كتاب الزهد عن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ، ما بين منكبي أحدهم مسيرة مائة خريف- أي سنة- ليس في قلوبهم رحمة ، إنما خلقوا للعذاب ، يضرب الملك منهم الرجل من أهل النار فيتركه طحناً من لدن قرنه إلى قدمه . ويقال لخزنة النار ((الزبانية)) قال الله تعالى :((فليدع ناديه سندع الزبانية [1])) . وسمي ملائكة العذاب بذلك

---

(1)في هذه الآية يأمر الله تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار،وذلك بحمل النفس على امتثال أوامر الله تعالى،واجتناب ما نهى عنه،وحمل الأهل_الزوجة والأولاد_على ذلك أيضاً بالتعليم والتأديب تارة،والتأنيب تارة،فإن الإنسان مسئول عن نفسه وعن رعيته كما قال صلى الله عليه وسلم ((كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته)) .

لدفعهم الشديد وطرحهم الحديد ، لكل جبار عنيد وشيطان مريد . وقد أنزل الله تعالى هذه الآيات في أبي جهل حين توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمّ بإيذائه .

روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام ، فمر به أبو جهل فقال : يا محمد ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده ، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهر ، فقال أبو جهل : يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أم والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً ! فأنزل الله تعالى :((فليدع ناديه سندع الزبانية)) . قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل : هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ - أي بأن يسجد على الأرض- قالوا : نعم ، فقال : واللات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بيديه[٢] ،فقيل له : مالك ؟ فقال أبو جهل : إن بيني وبينه- أي بين محمد- خندقاً من نار وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)) وأنزل الله تعالى :((كلاّ إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى ..)) إلى آخر السورة .

وقال تعالى :((وما أدراك ما سقر ؟ . لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها

---

(1)اختلف في هذا الجمع فقيل لا واحد له من لفظه،وقال أبوا عبيدة:واحد زبنيّ بالكسر،منسوب إلى الزبن بالفتح وهو الدفع بشدة،ثم غير النسب وكسر أوله كاءنسي،وأصل الجمع زباني،حذف إحدى ياءيه،وعوض عنها التاء، وقيل:واحد زابن،أي شديد البطش .

(1) صار يرجع القهقرى ويضع يديه على وجهه من الخوف الذي اعتراه ، والهول الذي أصابه مما رآه وعاينه .

تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ..)) الآية .

فهو يخبر سبحانه عن خزنة النار أنهم ملائكة أقوياء أشداء ، لا يقاومون ولا يغالبون ، وأن عليها تسعة عشر ، فالجمهور من أولي العلم على أن هؤلاء التسعة عشر هم النقباء الموكلون عليها المتولون أمرها ، وإليهم مرجع زبانيتها وسائر خزنتها ، وليس هذا العدد حاصراً لجميع الملائكة الموكلين بجهنم وتعذيب داخليها من الكفار والعصاة ، فقد روى مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمامٍ ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)) .

وذهب كثير من العلماء إلى أن تمييز العدد (تسعة عشر) المحذوف هو : صنف ، أو صف ، أو ألف ، وأن التقدير : عليها تسعة عشر صفاً من الملائكة ، أو صنفاً ، أو ألفاً .

أصناف الملائكة عليهم السلام

الملائكة عليهم السلام أصناف مصنفة ، وكل صنف منهم وكله الله تعالى بوظائف يقوم بها بإذن الله تعالى ، حسب ما هو سبحانه يأمر بذلك ويطلعهم على علم ذلك ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله :((قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)) وقال تعالى ((وهم بأمره يعملون)) .

فمنهم الموكلون بقضايا الإنسان التكوينية : تطوير النطفة في الأرحام ، ثم تصويرها،ثم نفخ الروح في الجنين ، وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته ومنهم المعقبات الحفظة ، ومنهم الكرام الكاتبون ، ومنهم ملائكة الهمم ، و منهم ملائكة الوحي إلى الأنبياء والرسل ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس العبادات والطاعات على اختلاف أنواعها ، ومنهم الموكلون برفع الأعمال

الصالحة إلى رب العزّة، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح ، ومنهم الموكلون بسؤال القبر،ومنهم الموكلون ببشائر المؤمنين في كل عالم انتقلوا إليه .
ومنهم الموكلون بالتدابير الكونية بإذن الله تعالى وأمره ، تنفيذاً لمقتضى تدبيره ، وذلك أن جميع تدابير العوالم كلها العلوية والسفلية والشهودية والغيبية ، كل ذلك بتدبير الله تعالى العليم الحكيم المدبر الذي له التدبير الذاتي المطلق ، قال تعالى ((أمّن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ..)) الآية .
وقد جعل سبحانه بإذنه وإرادته وسائط من الملائكة ووكل إلى كل طائفة منهم أعمالاً : فمنهم الموكل بالشمس أو القمر أو بالنجوم ؟ ومنهم الموكل بالجبال ، ومنهم الموكل بالسحب والأمطار، ومنهم الموكل بالبحار ، ومنهم الموكل بالنبات والأشجار ، إلى غير ذلك مما يعجز الإنسان عن إحصائه .
وقد ذكر الله تعالى أصنافاً من الملائكة عليهم السلام في مواضع متعددة من القرآن الكريم حسب المناسبات ، كما أوضحت ذلك الأحاديث النبوية أيضاً وفصلت وظائفهم ومواقفهم تفصيلاً بيّناً .
قال الله تعالى ((والنازعات غرقاً . والناشطات نشطاً . والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً . فالمدبرات أمراً)) .
فهو يقسم سبحانه بالملائكة القائمين بتنفيذ هذه الأعمال عن أمر الله تعالى وإذنه . فالنازعات هي الملائكة تنزع أراوح الكفار من أجسادهم بقوة وشدة ، والناشطات هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين- أي تخرجها من أجسادها- بسهولة وسرعة ، كنشط الدلو من البئر ، والسابحات هي الملائكة تسبح في الفضاء تقطع المسافات الشاسعة ماضية إلى تنفيذ ما أمر الله تعالى به ، كما تسبح الطير في الهواء ، والسابقات هي الملائكة تسبق مسرعة إلى ما أمرت به دون بطء ولا تأخر ، فالمدبرات أمراً هي الملائكة تدبر أمور الخلائق كما أمرهم الله تعالى وكما أذن لهم بذلك .

وقال تعالى :((فالمقسمات أمراً)) وهي الملائكة تقسم الأمور بين الخلق ،كما أمرهم الله تعالى به الملك الحقّ جلّ وعزّ .

وقال تعالى :((والمرسلات عرفاً[1] فالعاصفات عصفاً . والناشرات نشراً . فالفارقات فرقاً . فالملقيات ذكراً . عذراً أو نذراً)) .

ذهب كثير من الصحابة والتابعين إلى أن هذه أقسام إلهية بطوائف من الملائكة عليهم السلام وذلك أنه سبحانه أقسم بالمرسلات أي طوائف من الملائكة المرسلات بأمر الله تعالى ، فعصفت في المضي كما تعصف الرياح مسرعة إلى تنفيذ أوامر الله تعالى ، والناشرات هي طوائف من الملائكة نشرت أجنحتها في الجو [2]فتنزل بأوامر الله تعالى على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين ، فتفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام . فالملقيات ذكراً هي الملائكة تلقي الذكر على الأنبياء والرسل ورئيسهم هو جبريل عليه السلام وفي ذلك إعذار وإنذار .

مواقف الملائكة عليهم السلام مع الإنسان بالنسبة لأموره التكوينية أو الدينية

فمنهم الملائكة الموكلون بتطوير النطفة وتصوير ما في الأرحام ونفخ الروح في ذلك :

روى مسلم في صحيحه عن عامر بن واثلة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ

---

(1)أي والمرسلات للعرف والاحسان،فهو مفعول له،أو المراد والمرسلات حال كونها عرفاً أي متتابعة يقال جاءوا عرفاً واحداً:إذا جاءوا يتبع بعضهم بعضاً دون تراخ بينهم،وفي هذا ضرب من التشبيه،كما هو مفصل في موضعه .

(1) وقيل المراد بالناشرات الملائكة تنشر صحف أعمال العباد يوم القيامة .

بغيره .فأتى عامر رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بقول ابن مسعود رضي الله فقال :وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها ، وخلق [1]- أي قدّر- سمعها وبصرها وجلدها وعظامها ، ثم قال :ثم قال يا رب أذكر أم أنثى؟فيقضي ربك ما شاء ،ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب ! أجله ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول يا رب ! ارزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ذلك شيئاً ولا ينقص)) .

الملك ينفخ الروح في الجنين ويكتب ما أمر به

روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال :((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب[2]

---

(1)وهذا الخلق التقديري يظهر ما جاء في عيسى عليه السلام :((وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتكون طيراً بإذني))فكان عيسى عليه السلام يخلق_أي يقدر_كهيئة الطير ثم ينفخ في تلك الصورة والهيئة المقدرة فتصير طيراً بإذن الله تعالى .فهذا خلق بمعنى التقدير والتصوير ،لا معنى الإيجاد من العدم،فإنه لا خالق_أي لا موجد_إلا الله تعالى . قال سبحانه ((هل من خالق غير الله ؟!)) وقال :((أروني ماذا خلق الذين من دونه !)) .

(1)أي الذي كتب عند مضيّ الأربعينات الثلاثة عليه في الرحم،كما تقدم في الحديث،وقد يشكل هذا مع حديث حذيفة السابق،فإنه يدل على أن الكتابة تكون في أول الأربعين الثانية،والتعارض مدفوع بوجوه :

فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) وهذه الكتابة هي إحدى مراتب كتابة المقادير ، وذلك أن كتابة المقادير على جميع الأعمال والأقوال وجميع الشؤونات والأحوال والحركات والسكنات وما هنالك من كليات وجزئيات- كتابة ذلك على أنواع مرتبة :

الأولى :كتابة القلم جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال الله تعالى :((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتابة من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير)) فدلت الآية على أن هناك كتابة جامعة ، وهي سابقة على وجود البرية وخلق الخليقة .

وروى الترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك،وما أخطأك لم يكن ليصيبك،فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : إكتب، فقال: يا رب وما إكتب ؟ قال : إكتب مقادير كل شيئ حتى تقوم الساعة- وفي رواية الترمذي : إكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة- ثم قال عبادة بن الصامت : يا

أولاً: إن الكتابة متعددة،فالكتابة بعد تمام الأربعين الأولى هي من قبل الملك الموكل بالنطفة :تطويرها وتصويرها وما هنالك،وأما الكتابة بعد الأربعين الثالثة فهي من قبل الملك الذي يرسله الله تعالى حينئذ لينفخ الروح في الجنين،ويأمره بأربع كلمات:بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .ولكل من الكتابتين حكم وأحكام صادرة عن أمر الحكيم العلاّم.

ثانياً:إن أولى الكتابتين في السماء،والأخرى في الأرحام.

ثالثاً:قال بعض العلماء:إن الكتابة تكون بعد تمام الأربعين الأولى،كما دلّ عليه حديث حذيفة،وإنما أخرّ ذكرها في حديث ابن مسعود إلى ما بعد ذكر المضغة_أي بعد الأربعين الثالثة_لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة المتتابعة التي يتقلب فيها الجنين،وهي:كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة،فإن ذكر هذه الثلاثة على نسق واحد أعجب وأبدع.والوجه الأول هو الأظهر،والله تعالى أعلم .

بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ك((من مات على غير هذا فليس مني)) .

الثانية : كتابة مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض . روى مسلم في صحيحه عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء)) . أي والحال أن العرش موجود على الماء . وربما أدرج بعضهم هذه المرتبة في التي قبلها ، ولكن عند التدبّر يظهر الفرق لأهل التبصّر ، وذلك باعتبار أن أول ما خلق الله تعالى هو القلم ، فأمره أن يجري بكتابة ما سيكون إلى يوم القيامة .

الثالثة : كتابة المقادير بعد خلق السموات والأرض . روى البخاري والترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ دخل عليه ناس من بني تميم فقال :((اقبلوا البشرى يا بني تميم [1])) قالوا : يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم- أي غضب- ثم دخل ناس من أهل اليمن : فقال :((اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم)) فقالوا : قبلنا يا رسول الله ، جئنا لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول مخلوق بعد العدم- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((كان الله ولم يكن شيئاً قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل

---

(1)قال العلامة الطيبي:إنه صلى الله عليه وسلم أراد بقوله:((اقبلوا البشرى))أي إقبلوا البشرى مني ما يقتضي لأن تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به،ولما لم يكن جل اهتمامهم إلا شأن الدنيا ةالإستعطاء دون دينهم_أي دون أن يهتموا بأمر دينهم_قالوا:بشرتنا للتفقه وإنما جئنا للاستعطاء فأعطنا،ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ((إذ لم يقبلها بنو تميم)) ا هـ كما في المرقاة .

شيء)) .

قال عمران : ثم أتاني رجل فقال : يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقت أطلبها ، وايم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم أي ليسمع بقية حديث رسول الله مع أهل اليمن .

والكينونة في قوله صلى الله عليه وسلم ((كان الله ولم يكن شيء قبله)).

وفي رواية للبخاري أيضاً ((كان الله ولم يكن شيء غيره)) . وفي رواية لغير البخاري ((كان الله ولم يكن شيء معه)) : نص قاطع على أنه لم يكن شيء غيره تعالى في القدم الأزلي أصلاً ، لا ماء ولا عرش ولا غيرهما .

الرابعة : كتابة قبل أن يخلق آدم بأربعين سنة ، كما ورد في الصحيحين و السنن- واللفظ للبخاري- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((حاج موسى آدم ، فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك فأشقيتهم ، قال : قال آدم : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني ؟- أو قدّره علي قبل أن يخلقني؟- وفي رواية مسلم: أتلومني على أمر قدّره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى [1])) .

---

(1)وقد تنوعت مسالك أولي العلم في بيان وجه غلبة آدم لموسى عليهما السلام في الحجة،وبسطت تلك الأجوبة في شروح الحديث والتفاسير،وليس هذا موضع تفصيلها لطولها.فمن ذلك ما نقله الحافظ في((الفتح))عن القرطبي حيث قال :إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تعالى تاب عليه،فكان لومه على ذلك_أي بعد توبته_نوع جفاء،كما يقال:ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء،ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي،حتى كأنه لم يكن،فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلاً ا ه كلام القرطبي ،ثم قال الحافظ:وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين وهو المعتمد ا هـ .

الكتابة الخامسة :هي التي تكتب عندما يكون الجنين في الرحم فيكتب الملك رزقه وأجله وعمله وكونه شقياً أو سعيداً ، كما تقدم في الحديث .

ولكل مرتبة من هذه الكتابات حكم وأحكام ، وشأن ونظام ، لا يحيط بذلك إلا الحكيم العلاّم . فمن ذلك ما ذكره بعض العارفين أن الكتابة اللاحقة تختص ببعض المقادير من الكتابة السابقة ، إذ أن الكتابة السابقة هي أعم من اللاحقة وأشمل للمقادير وأجمع .

ومثال ذلك أن الكتابة حين يكون الجنين في الرحم فالملك يكتب ما يتعلق بشؤون الجنين الخاصة به من أعماله ورزقه وأجله وشقوته أو سعادته ، فتلك أمور خاصة بالولد من ذاك الحين إلى أن يموت ، ولا علاقة لهذه الكتابة بغيره من العالم ، بخلاف الكتابة التي هي قبل خلق آدم عليه السلام بأربعين سنة ، فإنها تعم آدم وذريته وشؤوناتهم وأحوالهم وأعمالهم كلها ، و الكتابة التي قبلها تعم مقادير الإنس والجن وسائر الأكوان ، والتي قبلها هي

وتلك المسالك أيضاً أن التائب لا يلام على ما تيب عليه منه،ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف.وقد نقل هذا الجواب عن كثير من أئمة العلم كما في ((الفتح)) .
وعلى كلٍ فليس في الحديث ما يدل على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المخالفات والاستمرار على المعاصي،فإن ذلك لا يجوز أصلاً،وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا إذا دعتهم رسلهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك ما هم عليه من الشرك :احتجوا بمشيئة الله تعالى لذلك ليستمروا على ذلك،فقال سبحانه:((وقال الين أشركوا:لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا،ولا حرمنا من دونه من شيء،كذلك فعل الذين من قبلهم،فهل على الرسل إلا البلاغ المبين))كما أخبر سبحانه عن الكفار أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإنفاق وأداء ما أوجب الله عليهم نحو المحتاجين والفقراء سداً لحاجتهم:احتجوا بأن الله تعالى لو شاء لأطعم أولئك الجياع الفقراء.قال تعالى :((وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ،قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟ إ، أنتم إلا في ضلال مبين !))ومقصودهم بذلك إبطال دعوة الرسل وإبطال أحكام شريعة الله تعالى والتماس المعاذير الباطلة لأنفسهم،بدعوى أنهم في كفرهم وشركهم،ومنعهم ما أوجب الله عليهم _هم في ذلك ينفذون حكم مشيئة الله تعالى لكفرهم وضلالهم !

أعم وأجمع والله تعالى أعلم [1].

---

(1)وينبغي أن يعلم أن كتابة المقادير السابقة لا تنفي اختيار الإنسان لأفعاله الاختيارية،فإن القدر السابق وكتابة المقادير يشملان اختيار الإنسان،بمعنى أنه سبحانه قدّر على الإنسان وأمر وأمر أن يكتب عليه أن سوف يفعل كذا وكذا باختياره وإرادته ،فاختيار العبد للأعمال الاختيارية هو من جملة المقدرات والمكتوبات،وهو ثابت شرعاً وعقلاً وذوقاً وجدانياً.
أما ثبوت الاختيار شرعاً:فإن الشارع أثبت للإنسان حالة إختيار،ورتب المؤاخذة والمعاقبة على أفعاله،وهو مختار لها،كما أثبت للإنسان حالة اضطرار،ورفع عنه المؤاخذة والمعاقبة حال كونه فيها،فقال تعالى :((حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ،وما أهل لغير الله به ،والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ،وما ذبح على النصب))ثم قال سبحانه بعد ذلك((فمن اضطر في مخمصة))أي مجاعة شديدة((غير متجانف لإثم))أي غير مائل لإثم((فإن الله غفور رحيم)).
فبين سبحانه أنه حرم تلك المحرمات في غير حالة الإضطرار إليها،أما إذا اضطر إليها بأن اشتد الجوع على إنسان وخاف الموت على نفسه من شدة الجوع،وليس هناك شيئاً يتناوله سوى تلك المحرمات فلا إثم عليه في تناولها،لأنه مضطر إلى ذلك.
وقال تعالى :((من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان،ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)) وقد نزلت هذه الآية_كما روى البيهقي وابن جرير_في عمار بن ياسر رضي الله عنهما حين أخذه المشركون فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا باللسان، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان.
وقد فصل الفقهاء أقسام الإكراه وأحكامه المرخصة والموجبة.
وأما ثبوت الاختيار عقلاً:فإن كل عاقل يفرق بين الآثار الناشئة عن حركة البشر،والآثار الناشئة عن حركة الشجر،فإن وخزةً تناله من قبل البشر تغضبه وتدفعه الإنتقام ممن وخزه،لأنه يعلم يقيناً أنها صدرت عن إنسان له اختيار وإرادة لذلك.أما إذا مر تحت شجرة يحرك الهواء أغصانها،فوخزته أو جزبت طرف ثوبه أو خدشته فإنها لا تغضبه ولا تندفع الإنتقام من الشجرة،لأنه يعلم يقيناً أن الشجرة لا اختيار لها في ذلك .
فلو قلنا إن الإنسان لاختيار له في أعماله الاختيارية للزم أن نعامل البشر في ذلك كالشجر.
أما ثبوت الاختيار ذوقاً وجدانياً:فإن الإنسان يعلم من نفسه أن له أعمالاً تصدر عنه باختياره وإرادته،كذهابه ومجيئه وقيامه وقعوده،ويعلم أيضاً أن له أعمالاً تصدر عنه لا باختياره، يكون مضطراً إليها ولا يستطيع دفعها،كالعطاس والرعشة والتثاؤب ونحو ذلك.وليس أحد من الناس يتساوى عنده صدور أعمال القيام والقعود وتناول الطعام والشراب مع العطاس والتثاؤب !! بل يفرق بينهما بذوق نفسه ووجدانه .

فاختيار الإنسان وإرادته للأمور ومشيئته لها ثابتة شرعاً وعقلاً وذوقاً،وكل ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته،فهو سبحانه خلق للإنسان اختياراً وإرادة ومشيئة.فمن صفات الإنسان أنه مختار ومريد وذو مشيئة،وقد وردت النصوص القرآنية والنبوية في نسبة الاختيار والمشيئة والإرادة للعبد.

فإن قيل:يلزم من كون اختيار الإنسان وإرادته ومشيئته مخلوقاً لله تعالى وأن جميع ذلك بإرادة الله تعالى ومشيئته_يلزم من ذلك أن صفة اختيار العبد ومشيئته وإرادته ما لها حقيقة وجودية،ولا أثر لها من الإعتبارات وإنما هو ضرب من التخيل والتواهم ؟.

فالجواب عن ذلك :أن هذا الازم باطل،لأنه إذا كان يلزم من خلق الله تعالى لاختيار الإنسان ومشيئته وإرادته وأن ذلك بمشيئة الله وإرادته_إذا كان يلزم من ها أن لا اختيار للإنسان ولا مشيئة ولا إرادة له وإنما هي أوهام فيجب أولاً أن يجري هذا اللزوم في بقية صفات الإنسان التي آتاه الله تعالى إياها،بل يجري هذا اللزوم في أصل وجود الإنسان الذي أنعم الله تعالى بإيجاده،فإن من صفات الإنسان أنه سميع بصير ولكن بجعل الله تعالى وخلقه ذلك وباسماعه سبحانه للعبد وتبصيره،قال تعالى في الإنسان:((فجعلناه سميعاً بصيراً))فسمع العبد وبصره مجعولان مخلوقان بخلق الله تعالى ومشيئته،ومع ذلك فالعبد سميع بصير حقاً،وإلا فما الفرق بين السميع البصير وبين الأصم الأعمى !

كما وأن الإنسان هو حي ناطق حقاً بإحياء الله تعالى وإنطاقه له بمشيئته سبحانه وإرادته،ولا يصح أن يقال إن حياته ونطقه لا وجود لهما ولا اعتبار بهما لأنهما بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته،لا يقال ذلك لأننا نقول إذاً ما الفرق بين الحي والميت ،وبين الناطق وغير الناطق ؟؟

بل إن الإنسان موجود بإيجاد الله تعالى وإرادته،ولا يلزم من ذلك أن لا وجود للإنسان،بل هو موجود حقاً وجوداً إمكانياً بإيجاد الله تعالى له وبمشيئته وإرادته ، وإلا فما الفرق بين الإنسان بعد أن أوجد وبينه قبل أن يوجد حين كان معدوماً؟

فالحق أن الله موجود حي ناطق سميع بصير مريد مختار إلى ماهنالك من بقية الصفات،وكل ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته سبحانه.وقد جاءت التكاليف الشرعية على نسبة ما آتى الله تعالى الإنسان من القوى الإدراكية والعملية،فلم يكلفه الله تعالى فوق طاقته وفوق ما آتاه،قال تعالى :((لايكلف الله نفساً إلا ما آتاها))وقال((ولا نكلف نفساً إلا وسعها))وقال تعالى((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها))أي إلا ما تسعه قدرتها ،لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف.أو المراد بوسعها:ما دون مدى طاقتها بحيث يتيسر عليها لقوله تعالى :((يريد الله بكم اليسر ،ولا يريد بكم العسر))وقال تعالى ((إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج))أي مختلطة من ماء الرجل والمرأة،كما بينه علماء التفسير ((نيتليه))أي خلقناه لنختبره بالتكاليف الشرعية:الأمر والنهي((فجعلناه سميعاً بصيراً))أي ليتمكن من القيام بموجب التكاليف الشرعية.

فلم يخلق الله تعالى الإنسان عبثاً أي لعباً لا لحكمة،كما قال سبحانه:((أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون !!))ولم يخلق الإنسان ويتركه سدى،قال

الملائكة الموكلون بكتابة جميع أقوال بني آدم وأفعالهم

قال الله تعالى :((أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون[1])) .

وقال تعالى :((ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد .ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)) .

فأخبر سبحانه أنه كل إنسان عليه ملكان محيطان به يتلقيان ما يصدر عنه من القول ، فما يلفظ الإنسان من قول إلا لديه رقيب يرقبه في أقواله ليكتبها عليه ، عتيد أي معد ومتهيئ كلّ التهيؤ لكتابة ما أمر به من الخير والشر .

وقال تعالى :((كلاّ بل تكذبون بالدين .وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون)) .

والمعنى : ما لكم أيها المكذبون بدين الله تعالى القويم وشرعه الحكيم الذي

تعالى:((أيحسب الإنسان أن يترك سدىً؟!))أي مهملاً،با خلقه وتعهده بالتكاليف التي فيها سعادته ومصلحته في الدنيا والآخرة.

(1)والمعنى:ان الله تعالى يسمع سرهم ونجواهم وأن رسل الله _أي ملائكته_الذين هم معهم وعلى قرب منهم يكتبون عليهم سرهم ونجواهم .

جاء بما فيه سعادة الدنيا والآخرة ؟! فإذا أنتم تكذبون بهذا الدين ، وتحلوّن ما حرمه الله وتحرمون ما أحله ، والحال أنتم لستم مهملين ولا متروكين ، بل وكلنا عليكم ملائكة كراماً ، ليسوا لئاماً ، أمناء ليسوا خونة ، فأكرم بهم من كتبة يحفظون جميع ما يصدر عنكم ، ويسجلون ذلك عليكم بصدق و أمانة ، وقد أطلعهم الله تعالى على أفعالكم سواء أخفيتم ذلك أم أعلنتم ، فإنهم يعلمون ذلك بما علمهم الله تعالى ، فإذا كان يوم القيامة أخرجوا تلك الكتب المسجلة ، ونشروها لصاحبها ، ويقال له هذا الكتاب كنا في الدنيا نكتبه عليك ونستنسخ فيه ما كنت تعمل فاقرأ كتابك .قال الله تعالى : ((وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه [1] ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً أقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً)) . وقال تعالى : ((وإذا الصحف نشرت)) . وقال تعالى ((ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون . وترى كل أمة جاثية [2] ، كل أمة تدعى إلى كتابها ، اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)) [3] .

قال الحافظ ابن كثير : وقد اختلف العلماء : هل يكتب الملك كل شيئ من الكلام - أي حتى المباح - وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب الملك ما فيه ثواب أو عقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما ؟ هم في ذلك

---

[1] والمعنى أن كل إنسان ألزمناه عمله الصادر منه باختياره على حسب ماقدر له خيرا كان أو شرا ،كأنه طار إليه من وكر القدر وعالم الغيب ،وأن عمله ملازم لعنقه ومرتبط به ، ما ينفك عنه ،وفي ذلك إيماء إلى أن أعمال الإنسان الصادرة عنه منها الزائن له كالقلائد والأ طواق ، ومنها الشائن له كالأغلال والأوهاق .انظر تفسير البيضاوي والنسفي وغيرهما .

[2] أي مجتمعة إلى بعضها أو جالسة على الركب مستوفزة ، وهذه حاله تمر بهم ينتظرون فيها فصل القضاء .

[3] أي : كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم

على قولين . وظاهر الآية القول الأول لعموم قوله تعالى ((ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)) ا ه يعني أن ظاهر قوله تعالى ((ما يلفظ من قول)) يدل على عموم كل قول ، لأنه جاء نكرة في سياق النفي ، وأدخلت عليه ((من)) استقصاء لكل قول : والفساد والصلاح والمباح .

وأما من قال : إن المباح من الكلام لا يكتب ، فيحتج بأن المباح لا ثواب فيه ولا عقاب عليه ، والكتابة هي للجزاء ،فيكون المباح مخصوصاً من عموم الآية.وظاهر النصوص القول بالعموم حتى المباح لأنه لا يخلو من ملاحظة قلبية صدر عنها .

وقد ذهب الإمام مالك وجماعة من السلف أن الملكين يكتبان على الإنسان كل شيئ حتى الأنين في المرض . رواه الخطيب وابن عساكر عن مالك أنه بلغه : إن كل شيئ يكتب حتى الأنين في المرض .

قال ابن كثير : وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك على الإنسان كل شيئ حتى الأنين في المرض ، فلم يئن أحمد بعد حتى مات رضي الله عنه .

وإنما أخبر سبحانه عباده بأن عليهم حافظين كراماً كاتبين ليتجنبوا المنهيات والمخالفات ،ويعلموا أنهم إذا فعلوا الفواحش والمنكرات فإنها مسطرة عليهم ومسجلة في كتبهم،وأن من اقترف ذنباً فليبادر إلى الاستغفار والتوبة فوراً .

روى الحاكم بإسناد صححه عن أم عصمة العوصية رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك ثلاث ساعات ، فإن استغفر من ذنبه لم يكتبه عليه ولم يعذبه الله يوم القيامة)) .

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول :((طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير [1])) .

إطلاع الملائكة الكاتبين على ما في قلوب بني آدم

اختلف العلماء في إطلاع الكرام الكاتبين على ما في قلوب بني آدم .

فذهب الجمهور إلى أن لهم إطلاعاً على ذلك ، بدليل ما في الصحيحين- واللفظ للبخاري- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((يقول الله تعالى للملائكة : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي أي مخافة مني- فاكتبوها له حسنة [2] ، وإن أراد أن يعمل حسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف)) .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((قال الله عز وجل : إذا همّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها- أي أمرت الملائكة أن تكتبها- له حسنة ، فأن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف- وفي رواية لهما : إلى أضعاف كثيرة- وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة)) .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((قالت الملائكة : رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة- وهو أبصر به- فقال : ارقبوه ،فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة. إنما تركها من جرّاي)) أي من أجلي .

فهذه الأحاديث تدل على أن الملائكة تطلع على ما في القلوب من الهمم

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي .

[2] وأما إذا أراد السيئة ثم لم يعملها عجزاً منه لا خوفاً من الله تعالى فهو عند الله آثم،كما يدل عليه حديث الصحيحين:((إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار))قيل:يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟فقال صلى الله عليه وسلم:((إنه أراد قتل صاحبه))أي ولكنه عجز عن ذلك .

والإرادات وما هنالك من أعمال القلوب . وهذا الإطلاع كما ذكره العلماء إما بإعلام الله تعالى الملك بذلك وإخباره عما وقع في قلب ابن آدم ، وإما أن يخلق الله تعالى للملك علماً يدرك به ذلك . قال في الفتح : ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني قال : ينادي الملك : اكتب لفلان كذا وكذا . فيقول : يا رب إنه لم يعمله ، فيقول : إنه نواه .

وقيل : بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحة خبيثة ، وبالحسنة رائحة طيبة ، و أخرج ذلك الطبراني عن أبي معشر المدني ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة ، ورأيت في شرح مغلطاي أنه ورد مرفوعاً ا ه .

وذهب بعض العلماء إلى أن الكرام الكاتبين لا اطلاع لهم على أعمال القلوب . واستدلوا على ذلك بما ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :((يؤتى يوم القيامة بصحف مختّمّة فتنصب بين يدي الله تعالى ، فيقول تبارك وتعالى : ألقوا هذه- أي الصحيفة- واقبلوا هذه- أي الصحيفة- فتقول الملائكة : وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيراً. فيقول الله عز وجل : إن هذا كان لغير وجهي ، وإني لا أقبل إلا ما ابتغي به وجهي[1])) .

وجاء في رواية مرسلة لابن المبارك:((إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله تعالى فيستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به حيث شاء الله تعالى من سلطانه،فيوحي الله تعالى إليهم:إنكم حفظة عمل عبدي،وأنا رقيب على ما في نفسه.إن عبدي هذا لم يخلص في عمله فاجعلوا في سجيّن..)) الحديث[2].

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه البزار والطبراني بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح والبيهقي .

[2] إنظر الدر المنثور وروح المعاني

وأجاب هؤلاء عن كتابة الحسنة لمن همّ بالحسنة بأن المراد بكتابتها تثبيتها عنده سبحانه .

والحق ما عليه الجمهور ،وهو أن الملائكة يكتبون الأفعال والأقوال وأعمال القلوب ، وأنه سبحانه يطلعهم على ذلك ، ولكنه قد يخفي عن الملائكة نيّة المرائين بأعمالهم،فيكتبون ما ظهر لهم من العمل دون ما أخفي عنهم الرياء ليبطل به سبحانه عمل المرائين بعد كتابته ، يفعل ذلك بهم فضيحة لهم و تشهيراً بهم ، وتنكيلاً وخذلاناً لهم ، اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ، كما أنهم يوم القيامة يردون إلى النار بعد تقريبهم من الجنة استهزاءاً بهم .

روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((يؤمر يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ، ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون- وفي رواية والآخرون

- بمثلها،فيقولون:ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك ، وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا ! قال : ذاك أردت بكم يا أشقياء ! كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراؤون الناس بخلاف ما تعطونني من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني ، و أجللتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي . اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب[1])) .

من عمل بطاعة الله تعالى ثم لم يتمكن منها ونيته الدوام عليها فإن الملائكة تكتب له أجر ذلك :

---

[1] قال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير والبيهقي ا ه وعزاه في روح المعاني إلى أبي نعيم والبيهقي وابن عساكر وابن النجار وابن مردويه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((ما من أحد من المسلمين يبتلى ببلاء في جسده- أي بسبب مرض أو كبر سن- إلا أمر الله تعالى الحفظة فقال : اكتبوا لعبدي ما كان يعمل وهو صحيح مادام مشدوداً في وثاقي [1])) .

وقد روي ذلك أيضاً في حق المسافر . فروى الطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن الله تعالى يكتب للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته ما دام في وثاقه- أي مرضه - و للمسافر أفضل ما كان يعمل في حاضره))

ونقل في فيض القدير عن ابن حجر رحمه الله تعالى أنه قال : هذا الحديث وارد في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها ، وكانت نيته- لولا المانع- أن يدوم عليها ا ه .

ومما ورد في ذلك ما رواه النسائي وابن ماجه بإسناد جيد عن أبي الدرداء يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال :((من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح : كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه)) .

<u>موقف الكرام الكاتبين لأعمال الإنسان بعد موته :</u> اختلف العلماء في مقر الكرام الكاتبين بعد موت الإنسان ؟ فقيل : يرجعون إلى معابدهم في السماء ،وقيل :يبقون حذاء قبر المؤمن يستغفرون له ويسبّحون ويحمّدون ويكبّرون ويكتبون ذلك في صحيفته.واستدلوا على ذلك بما روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن الله تعالى وكلّ بعبده المؤمن

---

[1] أي البلاء الذي ابتلاه الله تعالى به . وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي والدار قطني .

ملكين يكتبان عمله ،فإذا مات قال الملكان اللذان وكلا به:قد مات فأذن لنا أن نصعد إلى السماء،فيقول الله تعالى:سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحونني ، فيقولان:نقيم في الأرض؟فيقول سبحانه:أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني فيقولان:فأين نقيم؟ فيقول:قوما على قبر عبدي،فسبحاني واحمداني وكبراني ، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة [1])) .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستحياء من الكرام الكاتبين :روى البزار بالسند المتصل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إ، الله ينهاكم عن التعري ، فاستحيوا من ملائكة الله تعالى الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط ، والجنابة ، والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه ، أو بجرم حائط ، أو ببعيره[2])) . وقد رواه ابن أبي حاتم مرسلاً عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والغائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره ، أو ليستره أخوه)) .

الحكمة في كتابة أعمال بني آدم

إن الله تعالى أحاط بكل شيئ علماً ، وأحصى كل شيئ عدداً ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا يخفي عليه ما سكن في الظلماء أو تحرك بالضياء ، وهو الذي ينبئ عباده يوم القيامة بأعمالهم ، ويطلعهم على جميع شؤوناتهم وأحوالهم ، وإنما أمر الملائكة بكتابة أعمال العباد-

---

[1] قال في الدر المنثور : رواه البيهقي في الشعب وأبو الشيخ ، وروي من طرقٍ أخرى أيضاً .

[2] قال ابن كثير بعدما أورد هذا الحديث بسنده :ثم قال الحافظ البزار : حفص بن سليمان أحد رواته لين الحديث ،وقد روي عنه واحتمل حديثه ا ه .

وهو أعلم بذلك- لوجوه من الحكم :

أولاً : أن يعلم العباد أن عليهم رقباء يرقبونهم في جميع تقلباتهم ، ويسجلون عليهم كافة أفعالهم وأقوالهم . قال تعالى :((ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)) وذلك مما يكف الإنسان عن فعل المخالفات وارتكاب المنكرات ، ويحمله على منهج الاستقامة والكرامة ، فإن الإنسان حين يعلم أن عليه رقيباً يرقبه من جانب من يلي عليه ، تراه يلتزم حده ويقف عنده ، لعلمه بمراقب يرقبه ، مع أن هذا الرقيب هو إنسان مثله ، قد يغفل ويسهو وينسى ويلهو ، فما ظنك برقابة رقباء يلازمون رقبة ابن آدم ، لا يتركونه في الليل ولا النهار ، ولا يسهون ولا يغفلون ، بل هم كما وصفهم سبحانه ((يعلمون ما تفعلون)) ؟!

ولذا قال تعالى منبهاً ومتوعداً للطغاة البغاة :((أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون)) . كما بين سبحانه مكر الماكرين في آياته هو مسجل عليهم . قال تعالى :((وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا . قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون)) وهذا شأن المنكرين الجاحدين ، إنهم إذا أذاقهم الله رحمة : رخاء وسعة ونعمة ، بعد ضراء أي شدة وضيق وبلاء ، إذا هم في تكذيب واستهزاء بآيات الله تعالى وطعن فيها وعدم اعتراف بنعم الله عليهم.

ثانيا : أن هذا الكتاب الذي يسطر على بني آدم أعماله وأقواله ، سوف يكون يوم القيامة حجة عليه إذا هو خالف أوامر الله سبحانه وتعالى أو ارتكب ما حرم الله تعالى ، ولا يستطيع حينئذ أن ينكر شيئا مما سطره عليه الكتاب من صغيرة أو كبيرة ،قال الله تعالى ((وكل شيئ فعلوه في الزبر . وكل صغير وكبير مستطر)) . أي مسطر عليهم في صحائفهم التي كتبها الكرام الكاتبون . وفي المسند وغيره عن عائشة رضي الله عنها

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :((يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً)) . فالصغيرات والمحقرات من الذنوب في نظر فاعلها لها طالب ، وعليها حاسب .

ثالثا : أن يعلم العبد أن أعماله تكتب عليه وتحفظ في كتابه حتى إذا جاء يوم القيامة عرضت على رؤوس الأشهاد . فإن كانت أعمالاً صالحة وأقوالاً طيبة فرح بذلك ، وسر سروراً عظيماً ، ويعطى كتابه بيمينه وهنا يقول معلناً سروره وغبطته هاؤم اقرؤوا كتابيه . قال الله تعالى ((فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم [1] اقرؤوا كتابيه . إني ظننت إني ملاقٍ حسابيه. فهو في عيشةٍ راضية)) الآيات .

وقال تعالى :((يوم ندعو كل أناس بإمامهم [2] ، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم)) أي فرحين مستبشرين ومعلنين ذلك على مرأى الأشهاد ((ولايظلمون فتيلا)) .

وإن كانت أعمالاً سيئة سيء وجهه وكرب لذلك ، وأخذ يتلوّم ويتحسر ، قال الله تعالى ((وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه)) .

رابعاً : أن توضع كتب الفجار وما اشتملت عليه من قبائح وفضائح ، و سيئات وهنات ، في ديوان سجيّن أسفل سافلين ، وتتوارد عليهم الويلات واللعنات .

---

[1] أي خذوا اقرؤوا كتابي وانظروا ما فيه من الحسنات والخيرات .

[2] أي برسولهم ، أو دينهم أو كتابهم الذي جاء به نبيهم ، فيقال : يا أتباع النبي فلان ، ويا أهل دين كذا ، ويا أهل كتاب كذا .
وعن ابن عباس أن المراد بالامام هنا متبوعهم في الدنيا الذين اتبعوه في الخير أو في الشر ، في الهدى أو في الضلال .

وترفع كتب الأبرار وما احتوت عليه من أعمال الطاعات والحسنات والخيرات إلى ديوان عليين ، ليشهدها المقربون من الملائكة والأرواح العالية ومقربو كل سماء ، وهناك يثنى على أصحابها ، وينشر فضلهم ويعلو ذكرهم وتشهد كرامتهم ويذكر فعلهم .

قال الله تعالى((كلا إن كتاب الفجار لفي سجين.وما أدراك ما سجين!.كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين)) إلى قوله تعالى:((كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين . وما أدراك ما عليين !. كتاب مرقوم . يشهده المقربون)) .

خامساً : أن يوضع الكتاب يوم القيامة للحساب . قال تعالى:((ووضع الكتاب .فترى المجرمين مشفقين مما فيه،ويقولون:يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟! ووجدوا ما عملوا حاضراً ،ولا يظلم ربك أحداً)) .

وقال تعالى ((وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب وجيئ بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون)) .

والمعنى أن أرض الموقف أشرقت بنور ربها لما تجلى سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق ، وهناك حقت الحقائق ، وبرزت الدقائق ، وبليت السرائر ، وظهرت الضمائر ، فعلمت كل نفس ما أحضرت . وقوله تعالى ((ووضع الكتاب)) قال كثير من المفسرين : المراد بهذا الكتاب كتب أعمال العباد ، و((أل)) فيه للإستغراق ، والمراد بوضعه جعل كل كتاب في يد صاحبه : اليمين أو الشمال ، أو جعل كل كتاب في ميزان صاحبه .

وذهب بعض المحققين إلى أن المراد بهذا الكتاب هنا : كتاب واحد جامع لجميع أعمال العباد يوضع للحساب .

قال العلامة اللقاني في بعض شروحه على الجوهرة : جزم الغزالي رضي الله عنه بما قيل إن صحف العباد ينسخ- أي يكتب- ما في جمعها في صحيفة

واحدة ا ه . قال في روح المعاني : والظاهر أن جزم الغزالي وأضرابه لا يكون إلا عن أثر ، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي كما هو الظاهر . ا ه

أقوال : قد بين ذلك الشيخ الأكبر رضي الله عنه فذكر أن هناك كتابين عظيمين جامعين:أحدهما يسمى ((أماً)) كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فهو كتاب ذو قدر معلوم ، فيه بعض أعيان الممكنات ، وما يتكون عنها ويسمى ((كتاب القضاء)) وهو- أي القضاء- الحكم الإلهي على الأشياء الممكنة وبكذا وكذا ؛

وثانيهما يسمى((كتاب الإحصاء))قال تعالى((وكل شيئ أحصيناه كتاباً)) وقد كتب فيه ما يتكون عن المكلفين خاصة،فلا تزال الكتابة فيه مستمرة ما دام التكليف باقياً،وبه تقوم الحجة لله تعالى على عباده المكلفين،وبه يطالبهم ويحاكمهم يوم القيامة ، لا بالكتاب الأول ، وهذا هو المراد بقوله تعالى ((ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)) الآية . وكلا الكتابين محصور لأنه موجود بإيجاده تعالى،وما علم الله تعالى في الأشياء فلا يحصره كتاب مرقوم ولا يسعه رقّ منشور ولا لوح محفوظ ولا يسطره قلم أعلى .[1] ا ه .

ومن جملة الشهداء الذين يشهدون يوم القيامة على عباد : الكرام الكاتبون ، يشهدون على النفس الموكلين عليها . قال تعالى ((وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)) . وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :((هل تدرون مما أضحك ؟)) قلنا : الله ورسوله أعلم . قال ((من مخاطبة العبد ربه . فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول بلى . فيقول - العبد- إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهداً إلا

---

[1] انظر الجزء الثالث من الفتوحات .

مني ، فيقول بلى - تعالى- : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، والكرام الكاتبين

عليك شهوداً . قال : فيختم على فيه- أي فمه- ويقال لأركانه- أي أعضائه- :انطقي ، فتنطق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بعداً لكن وسحقاً ، فعنكن كنت أناضل)) أي أجادل وأدافع .

موقف العبد يوم القيامة من كتابه وكتّابه : إذا نشرت صحف الأعمال وشهد على ذلك الكرام الكاتبون : أقرّ العبد بذلك ، وأيقن بصدق الملائكة الكتبة وثقتهم،ولم يجد سبيلاً إلى الإنكار والاعتذار،ولا للطعن في الشهداء لأنهم عدول أخيار،كما ورد في حديث البطاقة :((إن الله تعالى يقول للعبد : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ..)) الحديث .

وكيف يستطيع العبد يوم القيامة أن ينكر أعماله التي صدرت منه في الدنيا و الحال قد نطق بها كتابه ؟ قال تعالى ((ولدينا كتاب ينطق بالحق ، وهم لا يظلمون)) . أم كيف ينكر أعماله وقد وجدها حاضرة أمامه ؟ قال تعالى ((ووجدوا ما عملوا حاضراً،ولا يظلم ربك أحداً)) وقال تعالى ((يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محتضراً وما عملت من سوءٍ..))الآية .بل كيف ينكر العبد أعماله وقد ارتسمت آثارها في لوح نفسه ، فهو يشهدها بحسه ؟ قال تعالى ((كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً)) .

الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم من المضار من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك

قال الله تعالى:((سواء منكم من أسر القول ومن جهر به،ومن هو مستخفٍ

في الليل وسارب بالنهار ، له معقبات [1] من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من والٍ)) .

يخبر سبحانه عن سعة سمعه للأصوات والأقوال كلها ، سرها وجهرها،كما يخبر سبحانه عن إحاطة بصره لسائر المخلوقات،في سائر الحالات:ظلماتها وضيائها وليلها ونهارها ، م يبين سبحانه إحاطة قدرته بجميع الأشياء وأنه لا يستطيع أحد أن يحفظ غيره إلا بأمره تعالى وتقويته على ذلك.فهو سبحانه وّكل بابن آدم ملائكة معقبات ،يحفظونه من المضار والمهلكات،من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك،وقواهم على ذلك،كما جاء في قراءة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وابن عباس وعن زيد بن علي وجعفر بن محمد و عكرمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين قرؤوا ((يحفظونه بأمر الله [2]))

وهذا أمر معاين مشهود ، فكثيراً ما يقع شخصان في خطر عظيم وكرب جسيم ، وإذ بأحدهما ينجو ويسلم ، والآخر يصيبه ما يصيبه ، مع أن الخطر أحاط بهما ، فهذا حفظته الملائكة من أجل أن الله تعالى أمرهم بلك ، فعصم ، وذاك تخلوا عنه فقصم .

روى ابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً قال :((وكّل بالمؤمن ثلثمائة وستون ملكاً ، يدفعون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك . للبصر سبعة أملاك يذّبون عنه كما يذب عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائب ، وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل ، وكلهم باسط يديه فاغر فاه ،

---

[1] المعقبات : جمع معقبة،وإنما وصف الملائكة الموكلون بحفظ ابن آدم بذلك،لأنهم يعقب بعضهم بعضا في حفظ ابن آدم وكلاءته في الليل والنهار ،دون أن يقع بينهم فترة انقطاع .

[2] و((من))في قوله تعالى ((يحفظونه من أمر الله))للسببية، ويقال لها : أجلية، أي من أجل أمر الله تعالى ذلك .

وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين)) . وأخرج ابن المنذر وغيره عن علي رضي الله عنه قال : لكل عبد حفظة يحفظونه ، لا يخر عليه حائط أو يتردى في بئر أو تصيبه دابة ، حتى إذا حاء القدر الذي قدر له خلت عنه الحفظة فأصابه ما شاء الله تعالى أن يصيبه .

القرين من الملائكة يدل ابن آدم على الخير

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة)) قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال :((وإياي ، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأتيني إلا بالخير)) .

إن الله تعالى خلق الإنسان واستعمره في دار الدنيا ، وهي دار التكليف والاختبار ، وقد أعطاه العقل والاختيار المناسب لخلقه ووجوده الممكن والمتسع لتكاليفه الشرعية ، ثم أرسل الله تعالى الرسل صلوات الله عليهم فجاءوا بالشرائع السماوية والنظم الإلهية المشتملة على مصالح العباد والبلاد وسعادة الدنيا والآخرة ، وبينت الرسل صلوات الله تعالى عليهم ذلك بأكمل بيان ، وأوضح برهان ، حتى ظهر الحق وانجلى نور شرع الله تعالى ، فهنا تحرك القرين الشيطاني ليصرف هذا الإنسان عن متابعة الحق بعدما تبين ، ويحمله على إتباع الهوى الفاسد ، وراح يزين له فعل الشر ليصرفه عن جانب الخير ، وأخذ القرين الملكي يحسن له الخير ويحمله على متابعة الحق الذي فيه الصلاح والفلاح ، ووقف العبد موقف المختار ، فأما أن يختار ويستحب الهدى على الردى ، ويجنح إلى جانب الحق مبتعداً عن الباطل ، ويرجح جانب القرين الملكي ، وأما أن يختار ويستحب العمى على الهدى والغي على الرشاد ، ويجنح إلى جانب القرين الشيطاني ، وينتظم في سلك الشياطين ، كما قال تعالى ((شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى

بعض زخرف القول غروراً)) .

وقد حفظ الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم وأعانه على القرين الجني فأسلم وآمن ، فأصبح لا يأتي النبي صلى الله عليه وسلم إلا بخير ، وال راجح لدى النظر رواية ((فأسلم)) بفتح الميم ، بمعنى صار مسلماً مؤمناً- على رواية ((فأسلم)) بضم الميم ، بمعنى أسلم من شره . وذلك لأنه أصبح لا يأتي إلا بخير ، وهذا شأن المسلم المؤمن ، وأما الكافر فلا يألو شراً .

ملائكة اللمّة [1] بابن آدم

قال الله تعالى :((الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم)) وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الذي عليم البيان عن معاني القرآن ، فقال كما ورد في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن للشيطان لمّة بابن آدم ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ :((الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً .. [2]))الآية .

فالشيطان يلم بابن آدم- أي يدنو منه- ليعده بالشر ، فيخيفه من الفقر حتى يمسك عن الإنفاق والتصدق في سبيل الله تعالى ، ويقول لابن آدم : أمسك عليك مالك ، ولا تتصدق وأبقه لعيالك ، وأصلح به حالك ، فربما كبرت سّنك ، وقد ذهب مالك فتمسي فقيراً .. الخ . كما وأن الشيطان يحمل ابن أدم

---

[1] اللمة هي الخطرة الواحدة،من الالمام،وهو القرب من الشيئ والدنوّ منه .

[2] رواه الترمذي وقال :حسن غريب ، ورواه النسائي وأخرجه ابن حبان في صحيحه .

على التكذيب بالحق الذي جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما الملك فإنه يلم بابن أدم ليعده بالخير في الدنيا والآخرة ، ويفتح له أبواب البشائر والسعادات ، ويحمله على التصديق بالحق الذي جاء عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم،فما أرأف وأرحم رب العالمين بعباده من أنفسهم .

كما وأن الله تعالى واعظاً في قلب عبده المسلم يذكره بالخير ويحذره من الشر . ففي المسند عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((ضرب الله مثلاً:صراطاً مستقيماً،وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة،وعلى الأبواب ستور مرخاة، و على باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولاتعوجوا- أي لا تنحرفوا- وداع يدعوا من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال:ويحك لا تفتحه،فإنك إن تفتحه تلجه- أي تدخله - فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله تعالى ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم [1])) .

فعلى المسلم أن يصغي إلى واعظ الله تعالى في قلبه ، وليعمل بمقتضى و عظه . ويسمى أيضاً : الزاجر ، كما بينه العارفون وهو النور المقذوف في القلب الداعي إلى ما يقرب إلى الله تعالى ، الزاجر عما يبعد عنه سبحانه.

وبناءً على هذه الأحاديث النبوية الأنفة - قسم العلماء العارفون الواردات

---

[1] قال الحافظ ابن كثير : رواه الترمذي والنسائي جميعاص عن علي بن حجر ،عن بقية،عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان ،عن جبير بن نفير،عن النواس بن سمعان،وهو إسناد حسن صحيح، والله أعلم . اه

التي ترد على القلوب إلى أربعة أقسام : الوارد الرحماني ، وهو أول الخواطر ويسمى السبب الأول ،ويعرف بقوته وتسلطه على القلب السليم الصافي ، وعدم اندفاعه بالدفع . والوارد الملكي ، وهو ما يبعث على فعل الخير والصلاح ، ويسمى إلهاماً ، والوارد النفساني ، وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً ، والوارد الشيطاني ، وهو ما يدعوا لفعل الشر ومخالفة الحق ويسمى وسواساً .

والأصل العام الحاكم في التفرقة بين تلك الواردات كما أجمع عليه العلماء والعارفون : هو الميزان الشرعي ، فما وافق ما جاء به الشرع فهو من الأولين ، وما خالفه فهو من الأخيرين .

وهناك علامات تدل على نوعية تلك الواردات ، ذكرها العارفون ، يدركها من هو صافي القلب طاهر السريرة .

فمن ذلك : أن كل ما يكون سبباً في الخير مأمون الغائلة في العاقبة ، ولا يكون سريع الإنتقال إلى غيره ، ويحصل بعده توجه تام إلى الله تعالى وإقبال عليه : فهو رحماني أو ملكي ، وما يكون بعكس ذلك فهو شيطاني .

ومن ذلك أن ما أورث أنساً وانشراحاً للصدر ونوراً في القلب فهو رحماني ، وما كان فيه دلالة على الخير وتنشيط الهمة نحو الخير فهو ملكي ، وما كان ضد ذلك فهو شيطاني .

ومنها : أن ما أورث سكينة وطمأنينة للقلب فهو ملكي ، وما أورث قلقاً واضطراباً فهو شيطاني . والإلهام الملكي يكثر وروده على القلوب الطاهرة النقية المستنيرة بنور الله تعالى ، فللملك اتصال بها قوي ، لمناسبة الطيب والطهر والصفاء والنقاء ، وأما القلب المغبّر أو المظلم الذي اسوّد بدخان الشبهات أو الشهوات المحرمة فتكثر وارداته الشيطانية ، لكثرة ورود

الشيطان له ، للمناسبة بينهما [1]

حضور الملائكة عليهم السلام مجالس العبادات

حضور الملائكة صلاة الجمعة واستماعهم للذكر والوعظ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول،ومثل المهجر - أي المكبّر- كمثل الذي يهدي بدنة،ثم كالذي يهدي بقرة،ثم كبشاً ،ثم دجاجة ،ثم بيضة،فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر)).رواه الشيخان .

شهود الملائكة يوم الجمعة : روى ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة [2]، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة [1] ، وإن احداً لن يصلي علي إلا عرضت

---

[1] قال العلامة الشيخ زروق في قواعده : تمييز الخواطر من مهمات أهل المراقبة ، لنفي الصوارف عن القلوب ،فلزم الإهتمام بها لمن له في ذلك أدنى قدم ،والخواطر أربعة : رباني بلا واسطة ،ونفساني ،وملكي وشيطاني. وكل إنما يجري بقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه .
فالرباني لا متزحزح ولا متزلزل ، كالنفساني، ويجريان_أي الرباني والنفساني_لمحبوب وغيره ،فما كان في التوحيد الخاص فرباني (وما كان) في مجاري الشهوات فنفساني ،وما وافق أصلاً شرعياً لا يدخله رخصة ولا هوى فرباني ، وغيره فنفساني ، ويعقب الرباني برودة وانشراح ، والنفساني يبس وانقباض ، والرباني كالفجر الساطع لم يزدد إلا وضوحاً والنفساني كعمود قائم إن لم ينقص بقي على حاله . فأما الملكي والشيطاني فمترددان أي يكثر ترددهما على القلب ما بين تارة وأخرى _(ولكن) لا يأتي المكي إلا بخير ، والشيطاني قد يأتي به _أي بالخير لكنه ممزوج بشر أو عاقبته شر _فيشكل ، ويفرق (بينهما)بأن المكي تعضده الأدلة ،ويصحبه الانشراح ،ويقوى بذكر الله تعالى،فأثره كغبش الصبح ، وله نفاذمّا، بخلاف الشيطاني ، فإنه يضعف بذكر الله تعالى ويعمى عن الدليل ، وتعقبه حرارة ، ويصحبه اشتعال وغبار وضيق وكزازة في الوقت ، وربما تبعه كسل الخ ا ه . ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى كتب القوم ، سيما التعريفات والاصطلاحات ، ومقدمة الشيخ داود القيصري ، وشروح الرسالة القشيرية ونحوها .

[2] ذكر أبو طالب المكي أن أقل الأكثرية ثلاثمائة مرة .

علي صلاته حين يفرغ منها)) قلت:وبعد الموت؟فقال صلى الله عليه وسلم ((وبعد الموت ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء [٢])) .

تأمين الملائكة لفاتحة الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة : غفر له ما تقدم من ذنبه)) . متفق عليه . وفي رواية للبخاري :((إذا قال أحدكم : آمين ، وقالت الملائكة في السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى : غفر له ما تقدم من ذنبه)) .

قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر أن المراد بالملائكة من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض والسماء ا ه .

تحميد الملائكة في الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((إذا قام الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة : غفر له ما تقدم من ذنبه)) . متفق عليه .

حضور الملائكة الحفظة عند صلاتي الفجر والعصر : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل ، وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر فتصعد ملائكة النهار ، وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون

---

[١] أي تشهد ما يجري فيه من أمال صالحة وقربات وطاعات لتشهد بها عند الله تعالى

[٢] قال المناوي :رجاله ثقات اه .

فاغفر لهم يوم الدين)) . رواه الشيخان وابن خزيمة- واللفظ له- كما في الترغيب .

الملائكة تحف بالمصلي إلى عنان السماء : روى محمد بن نصر عن الحسن البصري مرسلاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((للمصلي ثلاث خصال : يتناثر البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، وتحف به الملائكة من لدن قدميه إلى عنان السماء ، ويناديه مناد : لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل)) . أي ما انفتل من صلاته بل يبقى متوجهاً لمن يناجيه سبحانه .

الملائكة يتفقدون أهل المسجد : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا يفتقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم ثم قال : جليس المسجد على ثلاث خصال : أخ مستفاد ، أو كلمة حكمة ، أو رحمة منتظرة [1])) .

الملائكة يبلغون رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عن أمته : عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام [2])) وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني)) . رواه الطبراني بإسناد حسن كما في الترغيب .

صلوات الملائكة على عباد الله المؤمنين وأسباب ذلك : قال الله تعالى :((يا

---

[1] رواه أحمد من رواية ابن لهيعة ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطها كما في الترغيب للمنذري .

[2] رواه أحمد والنسائي ابن حبان في صحيحه .

أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبّحوه بكرة وأصيلا . هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين رحيماً)) .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ، وهو ما يعم الأوقات والأحوال كلها سوى الأحوال التي كره الشارع فيها ذلك ، فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله أحياناً كلها . أي فيعطي كل حين حقه من ذكر الله تعالى بالثناء أو الدعاء أو نحو ذلك . وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما : الذكر الكثير أن لا ينسى جلّ وعلا .

ثم قال سبحانه ((وسبحوه بكرة وأصيلاً)) أي أول النهار وآخره ، وخصهما بالذكر لأن لهما فضلاً على غيرهما بسبب حضور ملائكة الليل والنهار ، والتقائهما فيهما . وقال بعضهم : المراد بالتسبيح بكرة وأصيلاً صلاة الفجر وصلاة العصر .

((هو الذي يصلي عليكم وملائكته [1])) والصلاة من الله تعالى تشتمل على الرحمة الخاصة والتعطف والحنان،والصلاة من الملائكة هي الدعاء و الاستغفار. ثم يبين سبحانه آثار صلاته على عباده المؤمنين وصلاة ملائكته وماذا يترتب على ذلك ، فقال ((ليخرجكم من الظلمات إلى النور)) أي ليخرجكم من ظلمات الشبهات والشهوات الصادرة عن النفس وأهوائها

---

[1] وورود هذه الآية منفصلة_أي بدون عطف على ما قبلها_إما من باب ترتب الجزاء على العمل ، فهي بيان للمؤمنين أنهم إذا ذكروا الله تعالى ذكراً كثراً سبحوه بكرة وأصيلاً: فإن الله تعالى سيكرمهم فيصلي عليهم هو ملائكته . أو من باب بيان السبب الموجب على المؤمنين أن يذكروا الله ذكر أكثيراً ويسبحوه بكرة وأصيلاً . والمعنى حينئذ : اذكروا الله كثيراً .. الآيات لأنه سبحانه يصلي عليكم هو وملائكته ، فأدوا واجب هذا بذاك . والله اعلم .

وانحرافها- إلى نور الطاعة والهداية واليقين ، كما أنه سبحانه يخرجكم من ظلمات النفس وغواشي المحسوسات إلى نور اليقين وأسرار الملكوتيات .

حضور الملائكة مجالس ذكر الله تعالى : روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر- وفي رواية لمسلم : يتبعون مجالس

الذكر- فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم [1] إلى السماء الدنيا- وفي رواية لمسلم : قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا- فيسألهم ربهم ، وهو أعلم منهم - زاد مسلم فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض ، فيقول سبحانه : ما يقول عبادي ؟ قال فيقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ،ويحمدونك ،- وفي رواية : ويمجدونك- قال فيقول : هل رأوني ؟ قال فيقولون : لا والله ما رأوك . قال فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً . قال يقول : فما يسألوني ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة . قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال فيقول : فكيف لو أنهم رأوها . قال فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال يقولون : من النار ، قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، قال يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة ،

---

[1] أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين .

قال فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ،- وفي رواية : فيقولون : إن فيهم فلاناً الخطاء لم يردهم ، إنما جاء لحاجة- أي لا يقصد الذكر معهم- فيقول سبحانه : وله قد غفرت ، هم القوى لا يشقى بهم جليسهم - وفي رواية للبخاري : هم الجلساء لا يشقى جليسهم -)). والمعنى هم جلساء الحق لا يشقى بهم جليسهم من الخلق ، وذلك لما ورد :((أنا جليس من ذكرني)) . وحديث الصحيحين :((أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني- وفي رواية : وأن معه حين يذكرني)) . هذا وإن مجالس الذكر تشمل مجالس القرآن ، ومجالس تفسيره ، ومجالس الحديث النبوي ، ومجالس العلم الشرعي ، ومجالس التسبيح والتحميد والتهليل ، ومجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومجالس الاستغفار والدعاء ، فإن جميع ذلك فيه ذكر الله تعالى ، قال في فتح الباري : وفي هذا الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم يندمج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم- أي للذاكرين - وإن لم يشاركهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة لبني آدم واعتناؤهم بهم ، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه لإظهار العناية بالمسؤول عنه ، والتنويه بقدره والإعلان بشرف منزلته - يعني أن سبحانه إنما سأل الملائكة وهو أعلم بعباده من الملائكة ليباهي الملائكة بالذاكرين ، ولينوّه بهم ويعلن بشرف منزلتهم - ثم قال : وفي الحديث بيان كذب من ادعى أنه يرى الله تعالى جهراً في الدنيا ، وقد ثبت في صحيح مسلم ومن حديث أبي أمامة رفعه: ((واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)) ا ه .

<u>حضور الملائكة عليهم السلام مجالس القرآن ، ومجالس الصلاة على من</u>

أنزل عليه الفرقان : عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن لله سيّارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا أتينا على عباد من عبادك : يعظمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم ، فيقول الله تبارك وتعالى : غشوهم رحمتي ،فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم [1]))

مجالس الثناء على الله تعالى وذكر نعمه يباهي الله تعالى بها ملائكته : [2]

عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: ((ما أجلسكم ؟)) قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا فقال: ((آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟)) قالوا آلله ما أجلسنا إلا ذلك . فقال صلى الله عليه وسلم :((أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)) . رواه مسلم .

تباهي الملائكة بمجالس ذكر نعم الله تعالى وحمده : عن أنس رضي الله عنه قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تعال نؤمن بربنا ساعة - أي لنزداد إيماناً - فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة [1])) . وروى الطبراني عن ابن عباس قال : مرّ

---

[1] رواه البزار كما في الترغيب .

[2] ومعنى المباهاة : هي إعلان الثناء عليهم ، والإعلام بكريم منزلتهم عنده سبحانه .

النبي صلى الله عليه وسلم بابن رواحة وهو يذكر أصحابه فقال صلى الله عليه وسلم :((أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم)) الآية .

الملائكة تحف بالذين يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عن كربة من كرب يوم القيامة [٢]، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ،والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة [٣]، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عملكم لم يسرع به نسبه)) . رواه مسلم وأصحاب السنن ، فما أشرف الإجتماع على تلاوة كتاب الله تعالى ومدارسته نصاً أو معنى وتفهمه وتدبره ؟ إن هذا الإجتماع لتحف به الملائكة حفاوة وتكريماً وحباً فيه وقرباً منه .

---

[١] رواه أحمد بإسناد حسن كما في الترغيب ومجمع الزوائد .

[٢] وإن كرب يوم القيامة هي أدهى وأمر من كرب الدنيا ، وما أحوج الإنسان إلى ما يفرج عنه الكرب يوم القيامة !.

[٣] قال في الفتح المبين : والمراد بتسهيل الطريق إلى الجنة : تسهيل الإنتفاع به والعمل بمقتضاه ، وهو العمل الصالح ، فيكون العلم سببا لهدايته ودخوله الجنة وسببا لتسهيل طريق الجنة يوم القيامة وهو الصراط وما قبله ، فيأمن من تلك الأهوال والمخاوف ، فإن العلم يدل على الله تعالى من أقر ب الطرق إليه ، فمن سلك طريق العلم وحققه بالعمل ولم يعرج عنه : وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها ، إذ لا طريق إلى معرفته تعالى ورضاه إلا بالعلم النافع وهو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعله المقتضي لخشيته وإجلاله ومحبته ورجائه ، وهذا أول علم يرفع كما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ا ه .

الملائكة تنزل بالسكينة على قارئ القرآن : روى البخاري عن أسيد بن حضير قال :بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس - أي هاجت واضطربت - فسكت عن القراءة - فسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف - أسيد - وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق - أسيد على ابنه - أن تصيبه ، فلما اجتره [1] رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، وفي رواية : رفع رأسه إلى السماء ، فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها ، وفي رواية لمسلم : فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها - فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم ،فقال له صلى الله عليه وسلم :((اقرأ يا ابن حضر ، اقرأ يا ابن حضير)) [2] .قال أسيد : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً ، فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى ما أراها ،فقال صلى الله عليه وسلم :((وتدري ما ذاك ؟)) قال لا ،فقال صلى الله عليه وسلم :((تلك الملائكة دنت لصوتك - وفي رواية مسلم :تلك الملائكة تستمع لك ،ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى - أي لا تختفي - منهم . وفي رواية الحاكم : تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت- أي بقيت على قراءتك - لرأيت العجائب)).والمعنى أنه لو استمر على قراءته لبقيت الملائكة بارزة للناس غير مستترة عنهم لاستغراقها في لذة السماع للقرآن الكريم ، و إنجذابها إلى الروح القرآني .

---

[1] أي اجتر أسيد ابنه يحيى من المكان الذي هو فبه حتى لا تطأه الفرس .

[2] أي كان ينبغي لك يا ابن حضي أن تستمر على قراءتك ، لتستمر لك البركة والسكينة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك ، وفهم أسيد فأجاب بعزره في قطع القراءة ، وهو خوفه على ابنه يحيى أن تطأه الفرس .ا ه فتح الباري .

وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : كان رجل [1] يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين- أي حبلين- فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو - أي تقرب من مكان القارئ - وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم :((تلك السكينة للقرآن)) وفي رواية الترمذي :((نزلت مع القرآن أو على القرآن)) .

وروى أبو داود من طريق مرسلة : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : ألم تر لثابت بن قيس بن شمام ؟ لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح ! فقال صلى الله عليه وسلم :((فلعله قرأ سورة البقرة ؟)) فسئل ثابت فقال:قرأت سورة البقرة [2] .

<u>الملائكة تحف طالب العلم بأجنحتها :</u> عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر ، فقلت له : يا رسول الله ، إني جئت أطلب العلم ، فقال :((مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب [3])) .

وفي الحديث بيان فضل طلب العلم من وجوه متعددة ، منها : حفاوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطالب العلم وترحيبه به . ومنها : تنشيط همته وبشارته له بأن الملائكة تحفه حباً فيه وإكراماً له ، متزاحمين على ذلك ، فماذا تتصور من فضل طالب العلم الذي أكرمه رسول الله صلى الله

---

[1] قيل هو أسيد بن حضير ،وقد تعددت قصته في تنزل الملائكة لقراءته حين قرأ سورة البقرة وحين قرأ سورة الكهف ، وقيل :هذا صحابي آخر غير أسيد .

[2] انظر فتح الباري في فضل سورة الكهف .

[3] قال الحافظ المنذري : رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصحح إسناده وابن ماجه نحوه باختصار .ا ه

عليه وسلم ورحّب به ، وأكرمته ملائكة الله تعالى وحفتّ به حفاظاً عليه وصيانة له ؟!

<u>الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع :</u> عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر [1])) .

ففي هذا الحديث:بيان فضل العالم ، وأن الملائكة تضع أجنحتها له توقيراً و تواضعاً وتبجيلاً.وهذا الوضع يحتمل بل يشمل عدة وجوه ذكرها المحققون:

الأول - أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم تواضعاً له ، وتوقيراً لما يحمله من ميراث النبوة،ويكون هذا من باب:((واخفض جناحك للمؤمنين)).

الثاني - أن الملائكة تضع أجنحتها - أي تبسطها وتمدها لطالب العلم ، تكريماً وتعظيماً وتحبباً و تقرباً .

قال الطبراني : سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال : كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين ، فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه ، فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها - قالها كالمستهزئ - فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه

---

[1] رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي كما في الترغيب .

وسقط .

وقد نقل بالسند عن أحمد بن شعيب قال : كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم :((إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم)) . وفي المجلس معنا رجل من المبتدعة فجعل يستهزئ بالحديث فقال : والله لأطرقن غداً نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة ، ففعل ومشى في النعلين ، فجفت رجلاه جميعاً ، ووقعت فيهما الأكلة .

الثالث - أن الملائكة تظل طالب العلم بأجنحتها تكريماً له .

الرابع - أن وضع الجناح معناه الكف عن الطيران ونزولهم عند مجالس العلم ، حباً وقرباً من العلماء .

الخامس - أن الملائكة تضع أجنحتها - أي تبسطها - داعية لطالب العلم كما

تبسط الناس أيديها للدعاء ، وقد نقل ذلك عن الإمام مالك رضي الله عنه في كلامه على هذا الحديث . وهناك وجوه أخرى

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :((وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء)) : فإنه لما كان العالم سبباً في نشر العلم الذي به نجاة النفوس من المهلكات ، وكانت نجاة العباد والبلاد على يديه ، جوزي من جنس عمله ، فجعل من في السماوات و في الأرض ساعياً في الدعاء له ، والاستغفار له ، بل إن جميع الحيوانات والطيور وغيرها كلها تستغفر للعالم ، كما جاء في رواية ((حتى النملة في جحرها)) . وذلك لأن العالم يعلم العباد رعاية حقوق هذه الحيوانات ، ويعرفهم ما يحل الانتفاع بها ومنها ، وما يحرم ، ويعرفهم كيفية استخدامها ، ووجوه الانتفاع بها على الوجه وأرفقها بالحيوان ، فاستحق العالم أن تستغفر له

البهائم والحيتان [1] .

---

[1] فأكرم بألي العلم الذين استشهد الله تعالى بشهادتهم على وحدانيته ،فقال تعالى :((شهد الله أنه لا إله إلا هو ،والملائكة وألوا العلم ..)) الآية ، واستشهد بشهادتهم لتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى :((قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)) .ورفع درجتهم على من سواهم من أهل الإيمان ، فقال تعالى :((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) ، ورفع مستواهم على غيرهم ، فقال تعالى :((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟!))
وأكرم بأولي العلم الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ورثة الأنبياء ، فقال :((إن العلماء ورثة الأنبياء)) وشهد لهم بالعدالة فقال :((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين)) .وأخبر أنهم الذين أراد الله تعالى بهم خيراً فقال :((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) . وأنهم منار العلم فإذا ذهب بهم ذهب نور العلم معهم ، فقال صلى الله عليه وسلم :((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ..)) الحديث ، وأنهم النجوم التي يهتدى بها في الظلمات . فقد روى أحمد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة)) .
وما أعظم فضل العلم وشرفه عند الله تعالى ! فإن من قصد العلم وسعى إليه يفتح الله له باباً إلى الجنة ، وتضع له الملائكة أجنحتها ، وتفرش له أكنافها وتحف به وتصلي عليه وتستغفر له . كما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((من غدا يريد العلم يتعلمه :فتح الله له باباً إلى الجنة ،وفرشت له الملائكة أكنافها ، وصلتّ عليه ملائكة السماوات ،وحيتان البحر ، وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء ، والعلماء ورثة الأنبياء ،إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظه ، وموت العالم مصيبة لا تجبر ، وثلمة_ أي فجوة_ لا تسد ، وهو نجم طمس ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم)) . قال في الترغيب : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وليس عندهم :((وموت عالم ..)) إلى آخره ، ورواه البيهقي واللفظ له . ا ه .
وأكرم بأولي العلم الذين اختارهم سبحانه لحمل جوهر العلم بدينه وشرعه ! ومن ثم كانت لهم الكرامة من ربهم في خاصة نفوسهم وفي أتباعهم فيشفعهم بهم ، كما روى الطبراني بالسند الجيد والرواة الثقات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((قول الله عز وجل يوم القيامة : يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم)) .

الملائكة تصلي على من يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم : عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة ، فإنه أتاني جبريل آنفاً عن ربه عز وجل فقال : ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشراً [1]))

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول :((من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه

وهذا الحديث أورده في الترغيب بروايتين ، وذكره ابن كثير في مواضع من تفسيره مع تجويد سنده .

وروى البيهقي وغيره عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم)) .

ومن هنا يعلم ان تعظيم أهل العلم وتكريمهم هو من الإيمان لا من الإمتنان ، وأن إتنقاصهم والازراء بهم نفاق وطغيان ، قال صلى الله عليه وسلم :((ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه)) ، كما في المسند وغيره بالسند الحسن . وقد حكم صلى الله عليه وسلم بنفاق من استخف بالعالم فقال :((ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط)) رواه الطبراني كما في الترغيب .

وينبغي أن يعلم أن الثناء الوارد في الكتاب والسنة النبوية إنما هو في العلماء العاملين بعلمهم ، الذين نفعهم الله تعالى بعلمهم ونفع بهم ، وذلك هو العلم النافع المفصود في الشرع عند الإطلاق ، وهو الذي دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :((اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علماً ..)) الحديث كما في سنن الترمذي .

وأما العلم الذي لا ينفع فقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقالاللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها)) وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :((أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه)) رواه الطبراني والبيهقي كما في الترغيب . وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي : يا عويمر ! فأقول لبيك يا رب . فيقول : ما عملت فيما علمت ؟ . اللهم انفهنا بالعلماء العالمين ، وألحقنا بهم يا رب العالمين .

[1] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني عن أبي ظلال ، عنه ، وأبو ظلال وثقّ ، ولا يضر في المتابعات ا ه .

ما صلى علي ، عبد من ذلك أو ليكثر [1]))

الملائكة تصلي على الصف الأول في الصلاة ، وعلى من يصل الصفوف :

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول [2])) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ، ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة [3]))

الملائكة تصلي على من جلس في مصلاه بعد الصلاة :عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((إن العبد إذا جلس في مصلاه بعد الصلاة صلتّ عليه الملائكة ، وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، وإن جلس ينتظر الصلاة صلت عليه ، وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه)) . رواه أحمد ، كما في الترغيب .

الملائكة يصلون على من مشى في حاجة أخيه : روي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((من مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له أظله الله عز وجل بخمسة وسبعين ألف ملك يصلون عليه ، ويدعون له ، إن كان صباحاً حتى يمسي ، وإن كان مساء حتى يصبح،ولا يرفع قدماً إلا حط الله عنه بها خطيئة ورفع بها درجة [4])).

صلاة الملائكة على المتسحرين : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين[5])) أي الذين يتسحرون للصوم .

---

[1] رواه أحمد وأبو بكر بن شيبة وابن ماجه ، كما في الترغيب .
[2] رواه أحمد وأبو داود .
[3] رواه أحمد وابن ماجه .
[4] قال المنذري : رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره .
[5] رواه ابن حبان وغيره .

الملائكة عليهم السلام يصلون على معلم الناس الخير : عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلم الناس الخير [1])) .

الملائكة تصلي على من يعود المريض : عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة)) .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وقد روي عن علي رضي الله عنه موقوفا ا ه، قال المنذري : ورواه ابن حبان في صحيحه مرفوعا ولفظه :((ما من مسلم يعود مسلما إلا يبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه، في أي ساعات النهار حتى يمسي ، وفي أي ساعات الليل حتى يصبح)) رواه الحاكم وصححه على شرطهما ا ه .

الملائكة تصلي على من ختم القرآن الكريم : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك [2])) .

وعن سعد رضي الله عنه أنه قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً ا ه .

[2] عزاه في الجامع الصغير إلى الديلمي في الفردوس ورمز إلى ضعفه . ولكنه يتقوى بالشاهد الوارد عن سعد فانه رواه الدارمي بإسناد حسن ، ورواه أيضا صاحب الحلية عن سعد .

عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أو النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي .

الملائكة تصلي على مطعم الطعام : روي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة [1])) .

الدعاء لمطعم الطعام بصلاة الملائكة عليه : روى أبو داود وغيره عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت ، فأكل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :((أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة)) .

الملائكة تدنو ممن رقت قلوبهم بالوعظ والتذكير : روى مسلم عن حنظله الأسيدي قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظله ؟ قال حنظله : قلت نافق حنظله . فقال - أبو بكر - : سبحان الله ما تقول ؟ قال- حنظله - : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عا فسنا - أي خالطنا - الأزواج والأولاد والضيعات [2] فنسينا كثيراً . قال أبو بكر : فو الله لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : نافق حنظله يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((وما ذاك ؟)) قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسنا كثيراً ! فقال صلى الله عليه

---

[1] قال المنذري : رواه الأصبهاني . والمائدة هي ما يوضع عليها الطعام .
[2] من المزارع والصناعات والحرف

وسلم :((والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظله ساعة وساعة - ثلاث مرات -)) .

وقد ورد ذلك عن كثير من الصحابة ، ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله مالنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من اهل الآخرة ، فإذا خرجنا من عندك فآنسنا أهالينا وشممنا أولادنا أنكرنا أنفسنا ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك [1]لزارتكم الملائكة في بيوتكم . .)) الحديث ،ولفظ المسند : ((لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم)) وفي رواية له : ((ولأظلتكم بأجنحتها)) رورواه أبو يعلى والبزار برجال ثقات في حديث أنس بلفظ : ((لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على الحال التي تكونون عليها لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة)) . [2]

وفي هذا دليل قاطع على قوة التأثير بالوعظ والتذكير في ترقيق القلوب وتطييب النفوس ، وتحويلها من حال الغفلات إلى حال المشاهدات ،ومن حال الدنيا والإنهماك فيها إلى حال الآخرة والرغبة فيها ،فالوعظ والتذكير

---

[1] أي على رقة قلوبكم عند التذكير والوعظ ، كما في رواية أخرى لمسلم :فقال صلى الله عليه وسلم : لو كانت يكون قلوبكم كما تكون عند التذكير _أي التذكير بالنار والجنة ، كما دل عليه صدر الحديث ، وفي هذا إشارة إلى أن الدوام على تلك الحال عزيز ، وأن مفارقته لا توجب معتبة ، لما طبع عليه البشر .

= فقال صلى الله عليه وسلم : لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر _ أي التذكير بالنار والجنة ،كما دل عليه صدر الحديث ، وفي هذا إشارة إلى أن الدوام على تلك الحال عزيز ،وأن مفارقته لاتوجب معتبة ، لما طبع عليه البشر .

103 انظر موارد الظمآن ،وشرح المواهب للزرقاني ، ومجمع الزوائد (10|310) وقال رجاله رجال الصحيح .

بالكلام الإلهي والحديث النبوي له روح فعالية تسري في القلوب ،ومن ثم كانت مواعظ النبي صلى الله عليه وسلم تؤثر في نفوس الصحابة وترقق قلوبهم فيرتقي بهم الحال إلى ذروة الكمال ،كما قال أسيد بن حضير : لو أني أكون على أحوال ثلاثة من أحوالي لكنت من أهل الجنة : حين أقرأ القرآن وحين أسمعه يقرأ ، وإذا سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا شهدة جنازةً . وقال العرباض بن سارية وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، ولذلك قال ابن مسعود : ما كنت أظن أحداً من الصحابة يريد الدنيا - أي من رقة قلوبهم ، ودفة صفائهم ، وطيب نفوسهم - حتى نزل : ((منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة)) .

ولما شعر الصحابة رضي الله عنهم بافتراق الحالين معهم : حالهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي مجالس وعظه وتذكيره ، وحالهم مع أهليهم وأولادهم وحرفهم- خافوا النفاق على أنفسهم ، لأن تغير حال الخلوة عن الجلوة من أمارات المنافقين ، فأمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خافوه ، وبين لهم أن ذلك ليس مسبباً عن النفاق ، كما جاء موضحاً في رواية البزار عن أنس قال : قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال ، فإذا فارقناك كنا على غيره ، فقال صلى الله عليه وسلم :((كيف أنتم وربكم ؟)) قالوا : الله ربنا في السر والعلانية ، فقال صلى الله عليه وسلم :((ليس ذلكم النفاق [1])) .

---

[1] إنظر تفسير ابن كثير لسورة الملك . وقوله صلى الله عليه وسلم :((كيف أنتم وربكم ؟)) أي كيف أنتم مع الله تعالى حين تفارقون مجلسي ؟ فهل تحفظونه بالغيب أم تنسونه ؟ قال تعالى :((هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ، من خشي الرحمن بالغيب

دنوّ الملائكة من أماكن القرآن وحضورهم فيها :تقدم حديث أسيد بن حضير : بينما هو يقرأ سورة البقرة ذات ليلة فالتفت فإذا أمثال المصابيح مدلاة بين السماء والأرض ثم ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم:((تلك الملائكة نزلت لقرأءة القرآن - وفي رواية : تلك الملائكة تستمع لك ، وفي رواية : تلك الملائكة تنزلت لقرأءة سورة البقرة)) .

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :((البيت إذا قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة ، وتنكبت عنه الشياطين - أي تباعدت عنه - واتسع على أهله ، وكثر خيره وقل شره ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين ، وتنكبت - أي تباعدت - عنه الملائكة ، وضاق على أهله،وقل خيره، وكثر شره[1])) .

دنو الملائكة من أهل ذكر الله تعالى ، والمذكرين بالله تعالى ، ومشاركتهم للذاكرين في ذكرهم : روى مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :((لا يقعد قوم يذكرون الهش إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده)) .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية :((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي)) الآية . أما إنه

)) الآية . وقال صلى الله عليه وسلم :((إحفظ الله يحفظك)) وهل أنتم تراقبونه في أموركم أم تغفلون عنه ؟ فقالوا : الله ربنا في السر والعلانية .

[1] رواه محمد بن نصر المروزي باسناده ثم قال : وفي الباب عن أبي هريرة موقوفاً ، وعن ابن سيرين ا ه . وقد روى الدرامي أثر أبي هريرة أيضاً .

ما جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة ، إن سبّحوا الله تعالى سبّحوه ، وإن حمدوا الله تعالى حمدوه ، وإن كبرّوا الله تعالى كبرّوه ، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه - وهو أعلم بهم- فيقولون : يا ربنا عبادك سبحوك فسبحنا ، وحمدوك فحمدنا ، وكبروك فكبرنا ، فيقول ربنا جل جلاله : يا ملائكتي أشهدكم أني قد غفرت لهم ، فيقولون : فيهم فلان الخطاء ، فيقول : هم القوى لا يشقى بهم جليسهم [1])) .

تأمين الملك على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب : عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من دعا لأخيه بظهر الغيب

---

[1] أورده الحافظ المنذري في الترغيب وقال : رواه الطبراني في الصغير ا ه .
وتقدمت الأحاديث الدالة على أن لله ملائكة سيارة يلتمسون أهل الذكر ، وهذه الروايات بجملتها تدل على دنو الملائكة وحفيفهم بالذاكرين الله تعالى واشتراكهم معهم بذكرهم وحفيفهم بالذاكرين واستماعهم لتذكيرهم ووعظهم .ومن ثم قال الشيخ الأكبر في الجزء الثاني من الفتوحات : ينبغي للمذّكر أن يراقب الله ويستحي منه ، ويكون عالما بما يورده ، وما ينبغي لجلال الله تعالى ، ويجتنب الطامات في وعظه ،فإن الملائكة يتأذون إذا سمعوا في الحق وفي المصطفين من عباده ما لا يليق ، وهم عالمون بالقصص ،فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا كذب الكذبة تباعد عته الملك ثلاثين ميلا من نتن ما جاء به فتمقته الملائكة .
فإذا علم المذكر أن مثل هؤلاء الملائكة يحضرون مجلسه فينبغي له أن يتحرى الصدق ، ولا يتعرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زلات من أثنى الله علبهم واجتباهم ،ويجعل ذلك تفسيرا لكتاب الله تعالى ويقول قال المفسرون ، وما ينبغي أن يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام ، كقصة يوسف وداود وأمثالهم عليهم السلام بتأويلات فاسدة وأسانيد واهية عن قوم _ أي اليهود _ قالوا في الله ما قد ذكره الله عنهم .
فاذا أورد المذكر مثل هذا في مجلسه مقتته الملائكة ونفروا عنه ومقته الله تعالى ، ووجد الذي في دينه رقة رخصة يلجأ إليها في معصيته ، ويقول إذا كانت الأنبياء وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا ؟ وحاشا والله _ الأنبياء مما نسبت إليهم اليهود لعنهم الله ، فينبغي للمذكر أن يحترم جلساءه _ الملائكة _ ولا يتعدى ذكر تعظيم الله بما ينبغي لجلاله ، ويرغب في الجنة ويحذر من النار ، وأهوال الموقف والوقوف بين يدي الله تعالى . ثم قال : وقد ذكرنا في شرح كلام الله في ما ورد من ذكر الأنبياء عليهم السلام من التنزيه في حقهم _ ما هو شرح على الحقيقة لكلام الله تعالى . ا ه

قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثله)) أي بمثل ما دعوت لأخيك . رواه مسلم وغيره .

إقتداء الملائكة بمن أذن وأقام الصلاة في الفلاة : عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا كان الرجل بأرض قيّ - هي الأرض القفر - فحانت الصلاة فيتوضأ - فإن لم يجد ماء فليتيمم،

فإن أقام صلى معه ملكاه ،وإن أذن وأقام صلى خلفه من جنود الله مالا يرى طرفاه [1]))

ولاء الملائكة وبشائرهم للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : قال الله تعالى : ((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما توعدون نزلا من غفور رحيم)) .

روى النسائي وأبو يعلى عن أنس رضي الله عن قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)) فقال : ((قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها [2])) فهو سبحانه يخبر عن أهل الإيمان والاستقامة أنهم تتنزل عليهم

---

[1] قال المنذري : رواه عبد الرزاق في كتابه عن أبن التميمي عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي ، عنه .

[2] والمعنى أن من قالها ووفاها حقوقها وواجباتها ومات على ذلك فهو من أهل الاستقامة ، كما ورد عن الصديق رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ثم قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئا . وتلاها عمر الفاروق رضي الله عنه على المنبر ثم قال : استقاموا والله لله بطاعته ، ولم يرغوا روغان الثعالب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : استقاموا على أداء فرائضه .

الملائكة حين ينتقلون إلى عالم البرزخ بعد الموت ، فيقولون لهم : لا تخافوا مما سيأتي عليكم في العوالم،ولا تحزنوا على ما مضى منكم في الدنيا،فأنتم في أمان الله تعالى ،فبعدما يؤمنونهم يبشرونهم بالجنة التي كان يوعدون بها في الدنيا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون لهم للتطمين والتودد والإيناس : نحن أولياؤكم أي أحبابكم وأنصاركم ونصحاؤكم في الحياة الدنيا ، فنحن الذين كنا ننصركم على عدوكم الشيطاني فندلكم على الخير ،ونلمّ بكم فنلهمكم الخير حين كان الشيطان يزيّن لكم الشر، ونحن الذين كنا ننصركم على عدوكم الإنساني الكافر حين كنتم تقاتلونه . قال تعالى : ((إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا..)) الآية، ونحن أحبابكم الذين كنا نحضر معكم في مجالس عباداتكم وصلواتكم وأذكاركم.

وأما ولاؤهم في الآخرة المشار إليه بقوله تعالى ((نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)) فهو إيناسهم وملاطفتهم إياهم وحفاوتهم بهم لئلا تعتريهم وحشة لا في قبورهم ولا في حشرهم ولا نشرهم ، ومصاحبتهم لهم في سيرهم على الصراط ، فهم معهم دائماً محبون ومبشرون مخلصون صادقون ، وما أشد حاجة الإنسان إلى الصديق وقت الضيق !

ومن ولائهم في الآخرة أنهم يشهدون للمؤمنين عند ربهم بطاعاتهم

نعم ، ليس اختلاف هذه الأقوال اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تنوع ، فان الاستقامة تشمل تلك الأقوال كلها كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : ((استقيموا ولن تحصو ا)) أي لن تحصوا مراتب الإستقامة وفضائلها ، إذ الاستقامة هي إقامة النفس بقلبها وقالبها ، وظاهرها وباطنها ، وحواسها وجوارحها ، على الصراط المستقيم الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : ((قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . . ثم قال : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ..)) الآية .

وعباداتهم وأذكارهم ، باعتبار أنهم كانوا يشاهدونها منهم في الدنيا ويشهدونها معهم ، فهم يشهدون لهم قال الله تعالى : ((إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) ومن الأشهاد ملائكة الله تعالى ، كما ورد عن السلف رضي الله عنهم .

ومن ولائهم في الآخرة شفاعاتهم للمؤمنين ، قال تعالى : ((ولا يشفعون إلا لمن ارتضى . .)) الآية .

بشارة الملائكة لمن زار أخاه حبا في الله تعالى : روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن رجل زار أخا له في قرية أخرى ، فأرسل الله على مدرجته - أي طريقه - ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، فقال : هل لك عليه من نعمة تربها - أي تقوم بها وتسعى في صلاحها - فقال : لا ، غير أني أحبه في الله . قال - الملك- : فأني رسول الله إليك ، إن الله قد أحبك كما أحببته فيه)) .

صعود الملائكة بالكلم الطيب والعمل الصالح إلى رب العزة :

عن أبن مسعود رضي الله عنه قال : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى : إن العبد إذا قال : سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله : قبض عليهن ملك ، فضمهن تحت جناحه ، وصعد بهن ،لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ،حتى يحيى بهن وجه الرحمن . ثم تلا قوله تعالى : ((إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه[1])) .

---

[1] رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد . وقال المنذري : كذا في نسختي يحيى بالحاء المهملة ، وتشديد المثناة تحت . ورواه الطبراني فقال : حتى يجيئ بالجيم . ولعله

ما تتأذى منه الملائكة : عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من أكل البصل والثوم والكراث ، فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)) رواه مسلم . وفي رواية : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل البصل والكراث ، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((من أكل من هذه الشجرة الخبيثة ،فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس))

ما تنفر منه ملائكة الرحمة وتبعد عنه :جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نُمرُقةً [1] فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل ، قالت عائشة : فعرفت في وجهه الكراهية ، فقلت : يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ! ماذا أذنبت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما بال هذه النمرقة)) ؟ فقلت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم . وقال : إن البيت الذي فيه صور لا تدخله الملائكة [2])) .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة)) . وروى ابن ماجه عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الملائكة لا تدخل

الصواب ا ه . وانظر في مقدمتنا على كتاب الصلاة فان رفع الأقوال والأعمال مفصل هناك

[1] قال المنذري : النمرقة هي بضم النون والراء أيضاً ، وقد تفتح الراء وبكسرهما هي المخدة . ا ه .

[2] قال في فيض القدير : أي إن ملائكة الرحمة والبركة ، أو الطائفين على العباد للزيارة واستماع الذكر ونحوهم_أي من بقية الملائكة الذين يحضرون مجالس العبادات والصلوات كما تقدم _ لا الكتبة ، فإنهم لا يفارقون المكلف ، وكذا ملائكة الموت . ا ه

بيتاً فيه كلب ولا صورة)) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس ، ولا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس)) . وعن علي كرم الله تعالى وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ، ولا جنب ، ولا كلب)) . رواهما أبو داود والنسائي وغيرهما .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ثلاثة لا تقربهم الملائكة : جيفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق [1] ، والجنب إلا أن يتوضأ)) . قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود عن الحسن بن أبي الحسن عن عمار ولم يسمع منه ، ورواه هو وغيره عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر عن عمار قال : قدمت على أهلي ليلاً وقد تشققت يداي ، فخلّقوني بزعفران ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد علي السلام ولم يرحب بي ، وقال : ((اذهب واغسل عنك هذا)) فغسلته ، ثم جئت فسلمت عليه فرد علي ورحب بي ، وقال : ((إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمخ بزعفران ، ولا الجنب)) قال : ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ .[2]

وروى البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : ثلاثة لا تقربهم الملائكة : الجنب والسكران والمتضمخ بالخلوق - أي الذي له لون - .

---

[1] أي المدّهن المتلطخ .

[2] ثم قال الحافظ المنذر ي: المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة ، فإنهم لا يفارقونه _ أي الإنسان _ على كل حال من الأحوال . ثم قيل هذا في حق كل من أخر الغسل لغير عذر ، ولعذر _ لكن _ إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ ، وقيل هو الذي يؤخر الغسل تهاوناً وكسلاً ويتخذ ذلك عادة ، والله أعلم ا ه

وعن بريدة مرفوعاً : ((ثلاثة لا تقربهم الملائكة : السكران والمتضمخ بالزعفران ، والحائض والجنب))[1] .

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم))[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الها عليه وسلم قال : ((إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به))[3] .

فيمن تلعنه الملائكة : روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)) . وفي رواية لهما : ((إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح)) .

ومن ذلك ، ما رواه الطبراني عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره ، لعنها كل ملك في السماء وكل شيئ مرت عليه،غير الجن والإنس،حتى ترجع)) .

ومن ذلك ترويع المسلم : فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أشار إلى أخيه بحديدة ، فان الملائكة تلعنه - وفي رواية : حتى ينتهي - وإن كان أخاه لأبيه وأمه))[4] .

---

[1] كذا في الفتح الكبير والجامع الصغير مشيراً له بالصحة ، قال الشارح المناوي رحمه الله تعالى : ومثل الجنب والحائض : النفساء ، ويظهر أن المراد بالحائض والنفساء من انقطع دمه منهما وأمكنه الغسل ، لتفريطه باهماله.

[2] رواه الطبراني كما في الترغيب وغيره .

[3] قال المنذري : رواه الترمذي وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وقال الترمذي : حديث حسن .

[4] رواه الترمذي أيضا ، والمراد بالحديدة ما يشمل السلاح ونحوه من سكين وسيف ونحوهما ، ومعنى : ((وإن كان أخاه)) أي وإن كان المشير أخاً للمشار إليه ، ويصح عكسه ، لأن تروعي المسلم أو تخويفه حرام ،وإن كان هازلا ولم يقصد

حماية الملك لمن حمى مؤمنا من منافق : عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((من حمى مؤمنا من منافق [1] - أراه قال : بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلما يريد به شينه - أي نقصه وفضيحته - حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)) . رواه أبو داود وابن أبي الدنيا .

الحكمة بيد الملك :عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك ، فإذا تواضع الآدمي - قيل للملك : ارفع حكمته ، وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته))[2].

ملائكة التوفية

قال الله تعالى : ((وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ،حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون)).وقال تعالى:((قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ، ثم إلى ربكم ترجعون)) .

فهو سبحانه وكل ملائكة للتوفية بإذنه سبحانه ، ورئيسهم هو ملك الموت عزرائيل عليه السلام . وفيهم ملائكة الرحمة، والكفار تتوفاهم ملائكة العذاب .

قال تعالى : ((ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ، وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس

ضربه بذلك كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : ((وإن كان أخاه لأبيه وأمه)) فإن الأخ الشقيق لا يقصد قتل شقيقه غالبا ، ولكن قد يهزل معه ، وإذا كان هذا يستحق اللعن بالاشارة فما الظن بالاصابة ؟!

[1] يعني : أنه حمى مؤمنا من منافق يؤذيه بلسانه أو سنانه أو نحوهما ، من وجوه الإيذاء .

[2] قال المنذري : رواه الطبراني والبزار بنحوه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن . ثم قال : والحكمة بفتح الحاء المهملة والكاف : هي ما تجعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه ا ه أي فمن أراد أن يرفع تلك الحكمة فليتواضع .

بظلام للعبيد)). وقال تعالى : ((ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت، والملائكة باسطوا أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون)) .

فتنزع ملائكة العذاب أرواح الكفار بعنف وشدة ، كما قال تعالى : ((و النازعات غرقاً)) . وأما المؤمنون فإن ملائكة الرحمة تنشط أرواحهم نشطاً بيسر وسهولة ، كما قال تعالى : ((والناشطات نشطاً)) . وقال تعالى : ((الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون : سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) . فالملائكة تتلقاهم بالسلام والترحيب والبشارة بالجنة .

روى الإمام أحمد في المسند عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به الأرض ، فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال : ((استعيذوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ن حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ! أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ - أي من فم - السّقّاء - أي بسهولة ويسر - فيأخذها

- أي ملك الموت - فإذا أخذها لم يدعوها - أي لم يتركوها - في يده طرفة عين حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ،

ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض .

((فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ ! فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها ، إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله تعالى : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارةً أخرى .

((قال:فتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام ، فيقلان له : ما هذا الجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولون : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي ، فافرشوه - أي فافرشوا له - من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة . قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير ! فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول - المؤمن - ربّ أقم الساعة ربّ أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي - أي ما أعد الله له في الجنة من المنازل والمراتب العالية التي شاهدها - .

((وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه الملائكة من السماء سود الوجوه ، معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيئ ملك الموت فيجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس

الخبيثة ، أخرجي إلى سخط من الله وغضب ، فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود [1] الكثير الشعب ، من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها - ملك الموت - لم يدعوها - أي لم يتركوها - في يده طرفة عين ، حتى يجعلوها في تلك المسوح - أي الجلود أو اللباس الغليظ الخشن - فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا:ما هي هذه الروح الخبيثة ؟ ! فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تفتحّ لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)) أي ثقب الإبرة .

((فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ ((ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)) فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف - تتفرق - فيه أضلاعه ؛ ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الذي يجيئ الشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول رب لا تقم الساعة)) أي

---

[1] السفود : الحديدة التي يشوى بها اللحم .

خوفاً من العذاب الذي أعد له في جهنم وقد رآه حين فتح له باب إليها . قال تعالى :((النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) . وقد أورد الحافظ لبن كثير هذا الحديث في ((تفسيره)) معزواً للإمام أحمد ، ثم قال ك ورواه أبو داود من حديث الأعمش ، والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو ، به . ا ه . وللحديث شواهد متعددة من طرق عديدة [1].

وقال تعالى : ((كلا إذا بلغت التراق[2]. وقيل من راق)) قال ابن عباس في معنى هذه الآية : وقيل من يرقى بروح المحتضر ، ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ ا ه يعني أنه إذا احتضر الإنسان تساءلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب من الذي يقبض روحه ويرقى بها ؟ فكل منهم ينتظر حكم الله تعالى وأمره بذلك .

روى الشيخان - واللفظ لمسلم - عن أبي سعيد رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدل على راهب [3]فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدل على رجل عالم ، فقال : إنه قتل

---

[1] وقال الحافظ المنذري : هذا حديث حسن ن رواته محتج بهم في الصحيح . وكلمة ((هاه هاه)) قالها لاهنا للتوجع والأسى .

[2] التراقي : جمع ترقوة ، وهي قريبة من الحلقوم . والمعنى إذا بلغت الروح التراقي وحشرجت الصدر واحتدم الأمر .

[3] أي عابد مترهب ليس عنده كثير علم ، بدليل قوله بعده ((فدل على عالم)) . وفي هذا إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام لأن الرهبانية حدثت بعده . قال في الفتح : وفيه فضل العالم على العابد ، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له ، غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك ، من إستجرائه على قتل هذا العدد الكثير ، وأما الثاني فغلب عليه العلم ، فأفتاه بالصواب ، ودله على طريق النجاة ا ه .

مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء[1] . فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم - أي جعلوه حكماً بينهم وقد أرسله الله تعالى ليحكم بينهم بحكم الله تعالى - فقال : قيسوا ما بين الأرضين - أي التي خرج منها والتي قصدها - فإلى أيتهما كان أدنى - أ ي أقرب - فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة . - وفي رواية لمسلم : فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره - ثم مات ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر ، فجعل من أهلها)) .

<u>تأمين الملائكة على دعاء الحاضرين عند المريض والمحتضر</u> : روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون)) . وروى مسلم وأصحاب السنن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة - زوجها حين احتضر - وقد شق بصره ، فأغمضه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الروح إذا قبض تبعه البصر)) فضج ناس من أهله

---

[1] وفي هذا دليل أن من أراد التوبة والإصلاح فعليه أن يترك صحبة الأشرار ومجالستهم ، وأن يصحب الأخيار ويكون معهم ، لأن الصاحب ساحب ، والمجالسة تقتضي المجانسة . قال تعالى ((اتقوا الله وكونوا مع الصادقين))

، فقال صلى الله عليه وسلم : ((لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، ثم قال :اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه من الغابرين [1]، واغفر له ولنا يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونوّر له فيه)) .

ملائكة السؤال في القبر

قال الله تعالى : ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء)) .

يخبر سبحانه بأنه هو الذي يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت عندهم وتمكن في قلوبهم ،وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها الكريمة في الآية السابقة على هذه الآية : ((ألم ترى كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة))وهي لا إله إلا الله((كشجرة طيبة)) وهي النخلة ((أصلها ثابت وفرعها في السماء)) الآية ، فهو سبحانه يثبت المؤمن في الحياة الدنيا ، وذلك بالبقاء عليها مدة حياتهم لا تزحزحهم عنها المحن ولا الفتن ، وفي الآخرة أي بعد الموت ،وذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة ، وكذلك من مواقف القيامة ، فلا يزلون ولا يتلعثمون إذا سئلوا في معتقداتهم هناك ، ولا تدهشهم الشدائد والأهوال مهما تقلبت بهم الأحوال .

روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عاذب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله تعالى ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت

---

[1] أبي : كن خليفة له في عقبه _ أولاده وذويه من بعده _ في رعايتهم وحفظهم على أكمل الوجوه . ا ه مرقاة .

: قلت يا رسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها فكيف لي وأنا إمراة ضعيفة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة)) [١] .

ويتولى السؤال في القبر ملكان من ملائكة الله تعالى ، كما روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وأنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا : أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ ـ لمحمد [٢] صلى الله عليه وسلم ـ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : إنظر إلى مقعدك في النار ، قد أبدلك به مقعدا من الجنة [٣] فيراهما جميعا . وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس [٤] فيقال له :لا دريت ولا تليت [٥] ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)) [٦] .

واسم الملكين منكر ونكير ، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

[١] قال المنذري : رواه البزار ورواته ثقات .

[٢] هذا بيان من الراوي للرجل ، أي لأجل محمد صلى الله عليه وسلم ا ه مرقاة .

[٣] والمعنى انظر إلى مقعدك من النار لو لم تكن مؤمنا ولم تجب الملكين ، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة بإيمانك ، فيراهما جميعا ، ليزداد فرحه حين يرى النعيم بعد ما رأى الجحيم ، ((وبضدهما تتميز الأشياء)) .

[٤] قال ابن حجر : إن أراد بالناس المسلمين فهو كذب ، حق في المنافق ، لأنه ليس المراد مجرد قول باللسان ، بل اعتقاد القلب ، وإن أراد من هو بصفته _ أي منافق أو كافر فهو جواب غير نافع له . ا ه .

[٥] لا دريت أي لا علمت ما هو الحق والصواب ، ولا تليت لأي ولا اتبعت الناجين ا ه مرقاة

[٦] والمعنى أن تلك الصيحة يسمعها من يقرب منه من الدواب وسائر المخلوقات إلا الإنس والجن .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ،يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم .

كنومة العروس الذي لا يوقظه أحد إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله ، لا أدري - أي أنه نبي أم لا - فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي - أي اجتمعي وانضمي - عليه ، فتلتئم عليه ، فتختلف أضلاعه- أي تتفرق وتزول عن مستواها الذي كانت عليه - فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك))[1].

فعلى العاقل أن يتهيأ لذلك الخطاب ، وأن يستعد للجواب ، فإن الموقف خطير ، وشأن السؤال كبير ، ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بدعاء التثبيت للميت بعد الدفن ، كما روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه - أي على القبر - فقال : ((استغفروا لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت ، فإنه الآن يسأل)) أي قولوا : اللهم ثبته بالقول الثابت ونحو ذلك .

وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم حمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : ((ما من شيءٍ لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار،فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل - أو قريبا - من فتنة المسيح الدجال ، يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟

---

[1] قال المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، وابن حبان في صحيحه .

فأما المؤمن - أو الموقن - فيقول هو محمد - ثلاثاً - فيقال له :نم صالحاً قد علمنا إن كنت لموقناً به ، وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول: لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته)) [1].

فعلى العاقل أن يستجيب لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يتحقق بمتابعته ليحسن جوابه إذا سئل في القبر ، إذ لا يمكنه أن يقول : أجبنا واتبعنا ، دون أن يكون قد أجاب واتبع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما أن المكلف يسأل في القبر عن موقفه مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فإنه يسأل أيضاً بعد الحشر بين يدي الله رب العالمين ، كما في الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولنّ : ألم أبعث فيك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى .)) الحديث . أي فماذا عملت فيما بلغك رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم وفقنا للسلوك على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم القويم وصراطه المستقيم ، بتيسيرك وعونك يا رب العالمين .

مواقف الملائكة ووظائفهم المنوطة بالأكوان المحيطة بالإنسان

تقدم الكلام على أصناف الملائكة عليهم السلام،وأن منهم الموكلين بالتدابير الكونية وتنفيذ الأوامر الإلهية ، حسب إذن الله تعالى لهم وأمره بذلك ، كما هو مقتضى مشيئته وحكمته سبحانه .

---

[1] ومن المعلوم أن هذا السؤال إنما هو في عالم برزخي غيبي ، كما هو مفصل في كتابنا ((الإيمان بعوالم الآخرة)) وفيه بيان بعض الحكم في تغييب ذلك عن مشهد الناس ، ولكنه سبحانه قد يطلع على ذلك بعض عباده فيرون ويسمعون السؤال والجواب ، كما أوضحه العلماء والعرفاء في كتبهم ، وقد عقد الحافظ بن رجب في كتاب ((أهوال القبور)) فصلاً خاصاً ذكر فيه عدة ممن أطلعه الله تعالى على ذلك بالأسانيد الثابتة ، فارجع إليها إن شئت .

فمنهم الموكلون بتدابير أمور الجبال :روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليكم يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ((لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال [1] ، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرب الثعالب [2] ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فيها فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال [3]لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد ذلك فيما شئت ، وفي رواية : فما شئت - إن شئت أطبقت عليهم الأخشين [4]- وفي رواية الطبراني : فقال يا محمد إن الله بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فيما شئت ، إن الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)) .

وفي هذا بيان شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على قومه الذين قابلوه بأنواع الأذى ، وفيه مزيد صبره وحلمه صلى الله عليه وسلم .

ومنهم الملائكة الموكلون بالسحب يسوقونها حيث أمرهم الله تعالى : روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

---

[1] وذلك أنه لما توفى أبو طالب وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعمد إلى ثلاثة نفر من أكابر ثقيف ، لأجل أن يؤووه ، فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم أذى قومه في مكة ، فردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح رد وقابلوه بأشد الأذى .

[2] اسم مكان ميقات أهل نجد ويقال له : قرن المنازل وهو على يوم وليلة من مكة ، كما في الفتح .

[3] أي الملك الموكل بالجبال .

[4] هما جبلا مكة : أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قعيقعان .كما في الفتح ، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة فيقضي عليهم كلهم

الله عليه وسلم :((بينا رجل في فلاة من الأرض إذ سمع صوتا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة [1]فإذا شرجة من الشراج [2]قد استوعبت ذلك الماء ، فتتبع - الرجل - الماء . فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته[3].فقال له : يا عبد الله ما اسمك؟ فقال : فلان ،الاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لما سألتني عن اسمي ؟ فقال : سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماءه - يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها - أي في الحديقة - ؟ فقال : أما إذا قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه ، وأرد عليها ثلثه)) .

<u>ومنهم الملائكة الموكلون بالرياح وتصريفها وهم خزنتها القائمون عليها :</u>

قال تعالى : ((وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ عاتية)) . قال البخاري : يقال:طغت على الخزائن كما طغى الماء على قوم نوح ، وروى ابن جرير بإسناده عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك ، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزائن ، فطغى على الخزان فخرج ، فذلك قوله تعالى : ((إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية)) . قال : ولم يرسل شيئاً من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد ، فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت ، فذلك قوله تعالى : ((بريح صرصرً عاتية)) عتت على الخزان [4] اهـ .

وهناك الملائكة الموكلون بالبحار والأنهار والأشجار وغير ذلك . قال

---

[1] هي أرض ذات حجارة سوداء

[2] أي مسايل الماء إلى السهل من الأرض .

[3] هي المجرفة .

[4] انظر التفاسير ، ومنها تفسير ابن جرير وابن كثير ،

تعالى : ((وما يعلم جنود ربك إلا هو)) .

عصمة الملائكة عليهم السلام من المعصية والذنوب

إن مما يجب اعتقاده في الملائكة عليهم السلام أنهم معصومون عن المعاصي والذنوب ، بعصمة الله تعالى لهم وحفظه إياهم ، فقد ثبت بالأدلة القرآنية الصريحة ما يدل على عصمتهم :

الدليل الأول - قول الله تعالى في صفة الملائكة : ((وقالوا : اتخذ الرحمن ولداً ! سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)) . فهم من ناحية القول لا يتقدمون بقول إلا من بعد أن يأذن الله تعالى لهم في ذلك ، فالإذن منه سبحانه هو السابق ، وقولهم مسبوق بقوله سبحانه وإذنه ، وأما من ناحية العمل فلا يتحركون بعمل إلا بأمره تعالى ، فهم أمريّون أي يعملون بموجب الأمر الصادر منه سبحانه ، وغير ذلك لا يعملون ، ولذا قدّم قوله ((وهم بأمره)) على قوله ((يعملون)) ليفيد الحصر بذلك .

وحيث إن الملائكة بأمر الله تعالى يعملون،فكيف يقع منهم بعد ذلك ذنب؟! إذا لو وقع منهم ذنب للزم أن يكون عن أمره تعالى لهم بذلك الذنب ، وهذا باطل ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، قال تعالى : ((إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون)) .

الثاني - قوله تعالى : ((لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يأمرون)). فهم يأتمرون بأوامر الله تعالى ولا يعصون الله ما أمرهم كما وأن جميع تحركاتهم الفعلية هي أمرية ، أي كلها قيام بمقتضى أوامره تعالى ، وبها تنفيذ لأوامره تعالى ، فكيف يقعون بمعصية أو ذنب . ؟ !

الثالث - قوله تعالى : ((يسبحون الليل والنهار لا يفترون)) .فلا تعتريهم فترات انقطاع عن تسبيح الله تعالى ، لا في الليل ولا في النهار،ومن كانت

هذا صفته في جميع أوقاته فكيف يصدر عنه ذنب أو تقع منه معصية ؟

الرابع - قوله تعالى : ((يخافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يأمرون)) فهم في مقام الخشية والمخافة دائماً ، كما وأنهم دأبهم الدائب يفعلون ما يأمرون ، فأين المعاصي منهم والمخالفات ؟ .

الخامس - قوله تعالى : ((الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس)) فهم من المصطفين لرسالة الله تعالى في تنفيذ أوامره وتبليغها بصدق وأمانة .

السادس - قوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : ((وما نتنزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً)) فجميع تنزلاتهم في العوالم ، إنما هي بأمر الله تعالى لا من تلقاء أنفسهم كما وأن جميع تنزلاتهم بالحق والصدق ، قال تعالى : ((ما ننزل الملائكة إلا بالحق ..)) الآية . ومعنى قوله تعالى في الملائكة ((له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً)) أي له سبحانه ما قدّامنا وخلفنا ، وما نحن فيه من الأماكن والأحايين ، فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلى مكان ، ولا أن ننزل في زمان دون زمان إلا بأمر الملك سبحانه ومشيئته ، وهو الحفيظ العلام بجميع الحركات والسكنات ، وجميع أحوال الأكوان ، لا تعتريه الغفلة ولا النسيان ، فأنىّ لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه جل وعلا ؟ !

وأما ما قد يتوهمه بعض الناس وما قد يفهمونه من بعض الآيات القرآنية مما يخل بعصمة الملائكة الكرام عليهم السلام فهو وهم مرفوع وفهم مدفوع .

<u>فمن تلك الآيات قد يتوهم منها ما يتوهم قوله تعالى :</u> ((وإذ قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون)) .

فقد يتوهم منها اعتراض الملائكة على الله تعالى ، ولكن الحق ليس بذاك، فإن قولهم ((أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)) ليس هو سؤال اعتراض ، فإنه سبحانه لا يسأل عما يفعل ، ولكن كما قال المحققون إنه سؤال استفسار واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة واستخبار عما يرشدهم ، ويزيح شبهتهم ، كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره ، وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعناً في بني آدم على وجه الغيبة ، فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك ، لقوله سبحانه : ((بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)) فإنهم لم يتقدموا بهذا القول من السؤال والاستفسار إلا بعد الإذن لهم في ذلك ، لأنهم لا يسبقونه بالقول سبحانه .

هذا ، وإن الملائكة عليهم السلام كرام بررة أنقياء فطناء أدباء مع الحضرة الربانية ، لا يتأتى منهم الإنتقاد ولا الاعتراض على الله تعالى في مقاله المبين لمنزلة آدم ، والمعلن بفضله والمؤذن بشرفه ، فإنه سبحانه أراد أن يعلن بمنزلة آدم ويعلم الملائكة بفضله وشرفه ، فقال : ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)) وهو في اللغة من يخلف غيره ، والهاء فيه للمبالغة ، وجمهور أهل العلم والمعرفة ، على أن المراد به آدم عليه السلام ، كما هو مفصل في كتبهم ، قال العلامة البيضاوي : والمراد به آدم عليه السلام ، لأنه كان خليقة الله في أرضه ، وكذلك كل نبي استخلفهم الله تعالى في عمارة الأرض وسياسة الناس ، وتكميل[1].

نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه ، بل لقصور المستخلف عليه - أي بني آدم ما سوى الأنبياء منهم فإنهم قاصرون - عن قبول فيضه تعالى ، وتلقى أمره بغير واسطة ، ولذلك لم يستنبئ سبحانه ملكا ، كما قال الله تعالى : ((ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً)) . ا ه

فجعل الله سبحانه الرسل رجالاً حتى تتلقى الناس عنهم دينهم وأحكام شرعهم ، ويسمعوا كلامهم وتعاليمهم ، ويروا أفعالهم ويتبعوهم في أعمالهم ومعاملاتهم وسيرهم وأخلاقهم وآدابهم ، إلى ما وراء ذلك .

((قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون)) استفسروا عن الحكمة لخفائها عليهم ، مستعلمين ومستفهمين،ولذا جاء الجواب:((إني أعلم ما لا تعلمون))واختلف في وجه معرفتهم بأن سيقع من ذرية آدم إفساد وسفك؟فقيل:إنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى لهم بذلك ولم يقص علينا ذلك الإخبار اكتفاءً بدلالة الجواب عليه للإيجاز، كما هو عادة القرآن الكريم.ويؤيد ذلك ما روي في بعض الآثار أنه لما قال اله تعالى ذلك قالوا : وما يكون من ذلك الخليفة ؟ قال : تكون له ذرية يفسدون في الأرض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فعند ذلك قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ .

وقيل : عرفوا ذلك بالتلقي من اللوح ، وقيل : عرفوا ذلك استنباطاً مما

---

[1] قال تعالى في داود عليه السلام : ((يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ..)) الآية . وقال تعالى في الخليل الكريم عليه الصلاة والسلام : ((قال إني جاعلك للناس إماماً ..)) الآية . وقال تعالى في الخليفة الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم : ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ..)) الآية . ومن قارن بين هذا النصوص القرآنية واعتبر فيما فيها وتبصّر بمعانيها أيقن أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو إمام الأنبياء والمرسلين حقاً ، كما أخبر عن ذلك بقوله : ((إذا كان يوم القيامة كنت أنا إمام النبيين ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، غير فخر)) صلى الله عليه وسلم .

ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم ، وقيل : عرفوا ذلك قياساً لأحد الثقلين - وهم الإنس - على الآخر - وهم الجن قبل الإنس - باعتبار أنهما - أي الثقلين – غير معصومين . وقيل : عرفوا ذلك من تسمية آدم خليفة ، لأن الخلافة تقتضي الإصلاح ، وتقويم المستخلف عليه وإيقافه عند الحدود [1] ،وذلك يستلزم أن يصدر منه فساد إما في ذاته بمقتضى الشهوة، أوفي غيره من السفلة . وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك [2].

وأما قصة هاروت وماروت الواردة في القرآن الكريم فليس فيها ما يطعن بالملائكة ويخل بعصمتهم ، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، ثم يضمون إلى ما سمعوه أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس ، وجعلت الكهنة يدوّ نونها في كتب ويقرءونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام ، حتى صاروا يقولون : أن الجن يعلمون الغيب ، وإن هذا العلم هو علم سليمان ، وإنه ما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه سخرت له الجن والإنس والطير .. فأنزل هذان الملكان لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وللتمييز بين السحر وبين المعجزة ،وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين كلام السحرة [3]، وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عنهما :((إنما نحن فتنة فلا تكفر)).

قال العلامة الرازي في هذه الآية : يعني إنما نعلمكم السحر لتتوصلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر ، فلا ينبغي أن تستعلموا هذا السحر في أغراضكم الباطلة ، فإنكم إن فعلتم ذلك كفرتم . فالحاصل أنه تعالى إنما

---

[1] انظر جميع ما تقدم في تفسير البيضاوي والنسفي وروح المعاني ، وغيرهما من التفاسير .

[2] ولا يخلو بعض تلك الوجوه السابقة عن نظر فيها ، ولكن تركنا الإطالة مخافة الملالة .

[3] انظر ذلك في تفسير البيضاوي والنسفي والخازن والآلوسي وغيرهما .

أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق الذي جاء سليمان وأتم الله به ملكه ، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر ، ليفرق بين المعجزة والسحر [1] ا ه .

قال الله تعالى : ((واتبعوا ما تتلوا [2] الشياطين)) يعني أن فريقاً من اليهود المخبر عنهم في الآيات السابقة نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة ، واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرؤها الكهنة ((على ملك سليمان)) أي على عهده وزمان ملكه ((وما كفر سليمان)) فيه تكذيب للشياطين ودفع لما اتهم به سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إياه وعمله ، كما أشيع عنه من قيل الكهنة ((ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر)) إغواءً وإضلالاً ، قال العلامة البيضاوي : والمراد بالسحر - أي هنا في الآية - ما يستعان في تحصليه بالتقرب إلى الشيطان ، ممالا يستقل به الإنسان ، و ذلك لا يستتب - أي لا يتم - إلا لمن يناسبه - أي الشيطان - في الشرارة وخبث النفس ، فان التناسب شرط في التضام والتعاون . ا ه .

((وما أنزل [3] على الملكين)) يعني أنهم يعلمون الناس السحر و ويعلمونهم ما أنزل على الملكين ، أو المعنى أن اليهود اتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر،واتبعوا ما أنزل على الملكين ((ببابل هاروت وماروت)) اسمان علمان [1] بيان للملكين . والذي أنزل عليهما هو علم

---

[1] انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

[2] وهو حكاية حال ماضية ، والأصل ((تلت)) وقول الكوفيين : إن المعنى ما كانت تتلوا : محمول على ذلك ، لا أن ((كان)) هناك مقدرة . ا ه من تفسير روح البيان وغيره .

[3] جاء في تفسير البيضاوي وغيره : وقيل ((ما)) نفي معطوف على قوله ((وما كفر سليمان)) ا ه .

السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وليفرقوا بيت السحر والمعجزة كما تقدم .((وما يعلمان من أحد ، حتى يقولا إنما نحن فتنة)) يعنى أنهما ما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله تعالى ، ومحنة واختبار ((فلا تكفر)) .

قال العلامة البيضاوي وغيره في تفسير قوله تعالى ((وما يعلمان من أحدا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر)) : أي وما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله ، فمن تعلم منا - أي السحر - وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقّى عمله ثبت على الإيمان ، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به ، ا ه ونفل ذلك العلامة الآلوسي في تفسيره بالنص .

((فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)) أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين ، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين ابتلاء منه سبحانه ((وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)) لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمره تعالى ومشيئته وخلقه . وقد أمر الله تعالى بالتعوذ من شر النفوس الساحرة النافثات في العقد كما جاء في سورة الفلق .

وفي ذلك دليل على أن للسحر حقيقة ، وأن له تأثيراً ، كما عليه أهل السنة ،ولكن بإذنه تعالى ومشيئته وخلقه،وليس هذا موضوع بحثنا حتى نفصله.

هذا وإن البحث في عالم الملائكة عليهم السلام واسع الأطراف ، فسيح الأكناف ، وقد اقتصرنا منه على المهمات والموجزات ، فنسأل الله تعالى

---

[1] وهما أعجميان ، منعا من الصرف للعلمية والعجمية ، وقيل : عربيان من الهرت والمرت ، بمعنى الكسر ، ويشكل عليه منعهما من الصرف ، وليس إلا العلمية ، وتكلفه بعضهم فقال : يحتمل أنهما معدولان من الهارت والمارت ا ه من روح المعاني وغيره .

أن يعفو عن السيئات ،ويعظم لنا أجر الحسنات،ويعطف علينا قلب مصدر الخيرات والبركات ، ومنبع الفيوضات والفتوحات ، سيدنا وشفيعنا عند ربنا ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم ، إلى يوم الدين ، والحمد الله رب العالمين .

حول عالم الجن

إن من جملة العوالم التي أثبتها القرآن الكريم - عالم الجن ، فقد ذكرهم الله تعالى في مناسبات من الآيات متعددة ، بيّن فيها مادة خلقهم وأوضاعهم ، كما بيّن مسؤوليتهم ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية ، وأن منهم المسلمين منهم القاسطين، وأن منهم الصالحين ، ومنهم دون ذلك ، كما بيّن سبحانه في الآيات القرآنية وجوهاً من اتصالات الجن بعالم الإنس .

كما وأن السنة النبوية قد تناولت ذكر عالم الجن ، وبيّنت قضاياهم ، وأوضحت ما عليهم من التكاليف الشرعية بموجب الدعوة المحمدية ، فقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم ما أمرهم الله تعالى به من العقائد والأحكام ، وبيّن لهم الحلال والحرام ، بمقتضى أنه الرسول العام ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

فلذلك وجب الإعتقاد الجازم بوجود الجن ، وأنه عالم حقيقي ليس وهمياً تخييلياً، ولا ضرباً من النفوس البشرية الشريرة ، ولا من القوى البشرية الخبيثة ، ولا من نوع الجراثيم المكروبية الضارة ، فان جميع هذه الأفهام والأوهام حول علام الجن - هي تحريف لكلام الله تعالى عن معانيه المرادة منه ،وصرف له عن الوجه المخبر عنه ، إلى وجه آخر هو في معزل عنه ، وإنما الجن عالم خفي [1] حقيقي الوجود ، له شأنه وأحكامه .

وقد صنفت الكتب في تفصيل ذلك ، وإنما أذكر - إن شاء الله تعالى - طرفاً

مهماً من البحث حولهم ، باعتبار أن هذا الكتاب لم يوضع لذلك ، وسوف يأتي التفصيل إن شاء الله تعالى بعد ذلك .

خلق الجنّ

قال الله تعالى : ((خلق الإنسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارجٍ من نار [2])) .

---

[1] فان مادة كلمة (جن) تدل على الستر والخفاء ، ومن ذلك : ((جن عليه الليل)) أي ستره وأخفاه بظلامه ، ومنه سميت الأجنة في بطون الأمهات لا ستتارها وخفائها ،ومنه : المجنّ _ الترسّ _لأنه يقي صاحبه ويستره .

[2] ففي هذا بيان مادة الجن التي خلقهم الله تعالى ، وهي مارج من نار . والمرج الاختلاط ومنه سمي المرج ، لاختلاط النباتات فيه ، ومرج أمر الناس اختلط . فالجن

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)) . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في أول الكتاب .

وقد أخبر سبحانه أن الجن خلقوا قبل الإنس . قال تعالى : ((ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم)) .

وقد نبّه أكابر العلماء العارفين إلى أن إبليس ليس هو أباً أولاً للجنّ ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هو - أي إبليس - واحد من الجنّ ، قال تعالى : ((إلا إبليس كان من الجنّ ..)) الآية . وأما أبو الجنّ الذي هو كآدم عليه السلام للبشر ، فإنه غير إبليس [1] .

صفاتهم الخلقية

الجن هم أروح قائمة في أجسام لطيفة نارية ، قادرة على التشكل بصور مختلفة ، يأكلون ويشربون ، وفيهم الذكر والأنثى ، ويتناكحون ويتناسلون ، ويموتون طائفة بعد طائفة ، كما هو في الإنس .

مخلوقون من مختلط من نار ، وهو اللهب المختلط بسواد النار ، من : مرج الشيئ إذا اضطرب واختلط .

[1] انظر فتوحات الشيخ الأكبر ، ويواقيت الشيخ الشعراني وغيرهما ، فليس إبليس أول الجنّ ،ولكنه أول أشقياء الجنّ ، أي أول من شطن من الجنّ ، كما أن قابيل أول أشقياء الإنس . فمن كفر من الجن سمي شيطاناً جنياً ، ومن لم يكفر منهم يسمى جنياً ، كما أن من كفر من الإنس سمي شيطاناً إنسياً ، ومن لم يكفر فهو إنسي ، قال تعالى : ((شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)) . وقد أمر سبحانه بالتعوذ من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ((يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن ،)) قلت : يا رسول الله وللإنس شياطين ؟ ! فقال : ((نعم)) .

فباعتبار أنهم أجسام لطيفة نارية لا يراهم الإنس في الصورة التي خلقهم الله تعالى عليها،قال تعالى : ((إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)) وأما رؤيتهم إذا تشكلوا في غير صورهم فهي محققة الوقوع .

وأما إنهم يتشكلون بصور مختلفة- صورة رجال أو بعض الحيوانات- فيدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام،فأخذته وقلت:لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دعني فأنا محتاج ، وعلي عيال ولي حاجة شديدة ، فخليت عنه ،فأصبحت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟)) فقلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً ، فرحمته وخليت سبيله .

فقال صلى الله عليه وسلم : ((أما إنه قد كذبك ، وسيعود)) .

قال أبو هريرة : فعرفت أنه سيعود . فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دعني فأنا محتاج وعلي عيال ، لا أعود ، فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟)) قلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً ، فرحمته ، فخليت سبيله ، فقال : ((أما أنه قد كذبك ، وسيعود)) .

قال أبو هريرة : فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود ! . فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : وما هي ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فقرأ آية الكرسيّ : ((الله لا إله

إلا هو الحي القيوم ..)) حتى تختم الآية [1]، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان - وفي رواية ابن مردويه : لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى - حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما فعل أسيرك البارحة ؟)) قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ! فقال صلى الله عليه وسلم : ((وما هي ؟)) قلت : قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ من أولها حتى تختم الآية : ((الله لا إله إلا هو الحي القيوم)) وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أي الصحابة أحرص شيئ على الخير - فقال صلى الله عليه وسلم : ((أما إنه صدقك ، وهو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟)) قلت : لا ، فقال : ((ذاك شيطان)) أي من الشياطين .

وقد ذكر في الفتح من فوائد الحديث : أنه قد يتصور الشيطان ببعض الصور فتمكن رؤيته ، وأن الجن قد يأكلوا من طعام الإنس ، ويظهرون لهم ويتكلمون بكلامهم ، وأنهم قد يسرقون ويخدعون . ا هـ فقد تشكل الشيطان الجني بصورة ، وأتى أبي هريرة في بيت الصدقة يحثو من الطعام وكان منه ما كان . وقد وقع نظير ذلك مع أبي أيوب الأنصاري وأبي بن كعب كما في سنن النسائي وغيره ،ففي حديث أبي بن كعب أنه كان له جرن فيه تمر ، وأنه كان يتعاهده ، فوجده ينقص ، فإذا هو بدبة شبه الغلام المحتلم ، قال أبي بن كعب : فقلت له : أجني أم إنسي ؟ فقال : بل جني .. الحديث .

---

[1] وفي رواية أبي المتوكل : عند كل صباح ومساء ، وفي حديث معاذ بن جبل زيادة : وخاتمة سورة البقرة : آمن الرسول .. إلى آخرها ، كما في الفتح .

وأما إن الجن يموتون ففي الصحيح من دعائه صلى الله عليه وسلم : ((اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا تموت، والإنس والجن يموتون)) . وهم يموتون قرناً فقرناً كالإنس ، قال تعالى : ((والذي قال لوالديه أفٍ لكما أتعداانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ؟ وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله)) أي الحشر وما وراءه ((حق ، فيقول ما هذا إلا أساطير)) أي أباطيل ((الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت)) أي مضت وهلكت ((من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين)) فقوله تعالى : ((قد خلت من قبلهم من الجن والإنس)) دليل على موت الجن طائفة بعد أخرى كالإنس . نعم قد يطول عمر بعضهم أكثر من الإنس . وقال تعالى : ((حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس)) الآية .

وقد أخبر سبحانه عن قوة الجن وأن منهم العفاريت [1] الأشداء الأقوياء . فسخر لسليمان عليه السلام جنوداً قوية من الجن تعمل بين يديه ، وتصنع له ما يشاء من المحاريب والتماثيل ، والجفان الكثيرة ، والقدور الكبيرة . قال تعالى : ((وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ، فهم يوزعون)) فهو سبحانه يذكر فضله على نبيه سليمان بأنه حشر له أي جمع له العساكر القوية الكثيرة من نوع الجن والإنس والطير ، ((فهم يوزعون)) أي يكف أولهم على آخرهم ، لئلا يتقدم أحد منهم عن منزلته المرتبة له ، وليكونوا مجتمعين فلا يتخلف منهم أحد ، وذلك للكثرة العظيمة ، وفيه إشعار بتمام مسارعتهم بالانتظام ، والاصطفاف بإحكام . وكان الذي يليه

---

[1] جمع عفريت ، وهو المارد القوي الداهية .

من الجنود هم الإنس ثم الجن ، ثم الطير تظله ومن معه بأجنحتها ، مع التزام كلٍ من قادة الطيور مكانه المعين له .

وقال تعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام وتسخير الجن له ومدى قوتهم : ((قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني عليه لقوي أمين)) .

وذلك أن سليمان عليه السلام لما أراد إحضار عرش بلقيس من بلدة قبيلة سبأ في اليمن ، إلى مقام سليمان في الشام ، قبل أن تصل إليه بلقيس ومعها وزراؤها ليريها عظيم قدرة الله تعالى ، والقوة التي مكنه الله تعالى منها وملكه العظيم ، ولتشاهده أدلة نبوته وصدقه عليه الصلاة والسلام . ولأجل أن يختبر عقلها ، أمر بأن ينكر لها عرشها : أتعرفه أم تنكره ؟ فنادى بالملأ : ((أيكم يأتيني بعرشها ؟)) .

فانبرى له عفريت من الجن وقال : ((أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك)) أي مجلس حكمك بين الناس وقضائك فيما بينهم . وكان يجلس من الصبح إلى نصف النهار أو قريب منه ، وقيل المراد قبل أن تستوي من جلوسك قائماً . ثم أكد له ذلك بقوله : ((وإني عليه لقوي أمين)) يعني أنه لايصعب ولا يشق عليه ذلك ، لأنه قوي ، ولا يأخذ منه شيئاً ولا يبدل فيه ، لأنه أمين ، وذلك لأن عرشها كان مثقلاً بالجواهر ومليئاً بالنفائس الثمينة .

فهذا التعهد من العفريت الجني والتزامه إحضار ذلك العرش بين يدي سليمان مع قطعه تلك المسافة الشاسعة ، دليل على شدته وقوته ، ومع ذلك فإن نبي الله سليمان عليه السلام لأراد ما هو أعجل من ذلك ، وكان الأمر كما أراد .

وقال تعالى : ((ولسليمان الريح غدوها شهر ، ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من بعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن

أمرنا نذقه عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات،اعملوا آل داود شكراً،وقليل من عبادي الشكور)).

وفي هذا يبين الله تعالى فضله على نبي الله سليمان عليه السلام،((ولسليمان الريح)) أي سخرنا لسليمان الريح ((غدوها شهر ، ورواحها شهر)) جريها بالغداة مسيرة شهر ، وجريها بالعشي مسيرة شهر ، فكانت تسير في اليوم الواحد مشيرة شهرين ، وفي هذا بيان قوة الريح المسخرة ، لأن تقل سليمان وجنوده الكثيرة وتحملهم حيث أراد عليه السلام . ((وأسلنا له عين القطر)) أي النحاس المذاب ، أساله الله له سبحانه من معدنه ، فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ((ومن الجن)) أي سخرنا له من الجن ((من يعمل بين يديه بإذن ربه)) . أي كل شيئ بمشيئته سبحانه وإذنه بذلك ((ومن يزغ منهم)) أي ومن يعدل من الجن ((عن أمرنا)) أي عما أمرناه به من طاعة سليمان ((نذقه من عذاب السعير)) في الآخرة وهو عذاب الحريق ، وقيل : في الدنيا أيضاً ، بأن يسلط عليه الملك سوط نارٍ ، فيضربه به الملك إذا استعصى الجني عن طاعة سليمان عليه السلام .

((يعملون له ما يشاء من محاريب)) أي من مساجد شريفة وقصور منيفة ((وتماثيل)) وهي نقوش وتجميلات في الجدران.وقيل:صور للأشجار وما لا روح له ، وقال بعضهم : صور السباع والطيور [1].

((وجفان)) الجفان جمع جفنة وهي ما يوضع فيها الطعام وهي أعظم القصاع أو من أعظمها ((كالجواب)) جمع جابية من الجباية ، وهي الجمع

---

[1] كما في تفسير البيضاوي والنسفي وغيرهما من التفاسير ، وذلك أنه كان مباحاً في شريعتهم ، وقد ذكروا أنه لم يكن يأمرهم بفعل ذلك عبثاً أو لهواً ، فإنه نبي رسول منزه عن ذلك ، بل لحكم في ذلك ومهمات ، ومن ذلك تقييد الحيوان أو الطير المتمثل له وتحديد حد له ، حتى لا يبغي على غيره ولا يؤذي غيره ، وهذا بموجب تصرف القوى الروحية ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك .

، والمعنى : أنهم يصنعون له الجفان الكبرى التي هي كالحياض الكبرى ، وكلها مملوءة بالطعام .قيل : كان يقعد حول الجفنة الواحدة من تلك الجفان ألف رجل ((وقدور)) جمع قدر ، وهو ما يطبخ فيه ، ولكنها واسعة الحجم ((راسيات)) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لسعتها ((اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور)) . روى ابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :لما قيل لهم ((اعملوا آل داود شكراً)) لم يأت ساعة على أهله وولده من الليل والنهار إلا ومنهم قائم يصلي . وفي رواية : كان مصلي داود لم يخل من قائم يصلي ليلاً ونهاراً ، وكانوا يتناوبون ذلك .

مطالبة الجن بالتكاليف الشرعية

ذهبت جماهير أهل العلم إلى أن الجن مكلفون بالشرائع الإلهية ،وأنهم تتناولهم الأوامر والنواهي الشرعية . وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك كثيرة شهيرة .

قال الله تعالى إخباراً عما يقال لكفار الجن والإنس يوم القيامة ((يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذروكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرتهم الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين)) . فدل ذلك على تكليفهم كما كلفت الإنس ، وتوجه الخطاب الشرعي عليهم كما هو في الإنس ، ولذلك اعترفوا بأنهم كافرون ، وشهدوا على أنفسهم بالكفر .

وقال تعالى ((أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين . ولكلٍ درجات مما عملوا ، وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون)) .

ففي هذه الآيات يخبر سبحانه أن من الجن والإنس من حق عليهم القول أي

وجب عليهم العذاب ، وأنه خاسر ، وذلك لا يكون إلا في أهل التكليف المستوجبين العذاب بأعمالهم . وفي قوله تعالى : ((ولكلٍ درجات مما عملوا)) دليل ظاهر في ثوابهم وعقابهم ، وأن مسيئهم كما يستحق العذاب بإساءته ، فمحسنهم يستحق الدرجات بإحسانه ، وذلك كله يستلزم أنهم كانوا في الدنيا مأمورين بالشرائع ومتعبدين بها ، ولذلك استحقوا الدرجات بأعمالهم في الخير والشر .

وقال تعالى((وقيّضنا لهم قرناء))أي قيّضنا للمشركين قرناء من الشياطين ((فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم)) وهو ترغيبهم في الدنيا وحرصهم عليها ، وتكذيبهم بالآخرة وإعراضهم عنها ((وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين)) أي وجب عليهم العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس . ففي هذا دليل على تكليف الثقلين : الإنس والجن ، وتعلق الأمر والنهي جميعاً ، وكذلك تعلق الثواب والعقاب بهم .

وقال تعالى ((ويوم يحشرهم جميعاً : يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذي أجّلت لنا ، قال : النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم)) . ففي هذه الآية دليل صريح على تكليف الجن ، فإن هذا القول يقال للجن يوم القيامة،فيذكر الإنس استمتاع بعضهم ببعض في الدنيا،وذلك الاستمتاع هو ما كان بين الجن والإنس في الدنيا من طاعتهم إياهم في معصية الله تعالى وكفرهم به ، وعبادتهم لهم ليستعينوا بهم على أغراضهم وأهوائهم ، كما قال تعالى((بل كانوا يعبدون الجن.أكثرهم بهم مؤمنون)) .

ومما يدل على تكليف الجن بالشرائع السماوية قوله تعالى ((وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي

ولوّا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ، يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين)) .

وقد صح أن نفراً من الجن سبعة - وقيل تسعة ، وقيل أكثر من ذلك - جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ببطن نخلة [1] فلما سمعوه قالوا أنصتوا ، كما أخبر الله تعالى عنهم .

وفي هذا وجوه من الأدلة على تكليف الجن :

أحدها - أن الله تعالى هو صرفهم إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يستمعون

القرآن ليؤمنوا به ، ويأتمروا بأمره وينتهوا عما نهى عنه .

الثاني - أنهم ولوّا إلى قومهم منذرين ، والإنذار هو الإعلام بالخوف بعد وجود أسبابه ، فأنذروهم النار إن عصوا الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثالث - أنهم أخبروا عن سماعهم القرآن وتعقله وتفهمه ، وأنه يهدي إلى الحق ويهدي إلى صراط مستقيم . وهذا دليل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة ، وهم قادرون على إمتثال ما فيهم . ومن المعلوم أن التكليف إنما يستلزم العلم والقدرة ، فهم مكلفون .

الرابع - أنهم قالوا لقومهم : يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به . وهذا ظاهر في أنهم مكلفون مأمورون بإجابة الرسول ، وتصديقه فيما أخبر ،

---

[1] وهي أسم لموضع على بعد ليلة من مكة المكرمة ، وكانوا من جن نصيبين ، وقد روى ذلك الحاكم وأبن أبي شيبة وأحمد بن منيع باسناد جيد ، كما في شرح المواهب .

وطاعته فيما أمر صلى الله عليه وسلم .

الخامس - أنهم قالوا : ((يغفر لكم من ذنوبكم)) والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب ، وهو مخالفة الأمر ((ويجركم من عذاب أليم)) . وهذا يدل على أن من لم يستجب منهم لداعي الله تعالى لم يجره الله من العذاب الأليم .

ومن الأدلة على أن الجن مكلفون بالأوامر الإلهية والشرائع السماوية : الخطابات والنداءات الموجهة في سورة الرحمن إلى كل من الإنس والجن . فانه سبحانه وتعالى ذكر خلق النوعين ، فقال : ((خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار)) . فذكر نعمته عليهما بالايجاد ، ثم خاطبهم بما يحملهم على الإعتراف بنعمه وكرمه عليهم دون تردد ولا إنكار فقال ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) . ثم عدد سبحانه أصناف نعمه على كل من الجن والإنس : النعم الآفاقية والنفسية والسماوية والأرضية .

وكلما ذكر صنفاً من الكرم والنعم ، أردف ذلك بما يحمل المخاطبين من الإنس والجن على التفكر والاعتبار ، والاعتراف والإقرار بنعم المنعم عليهم ، وكرمه الواصل إليهم فيشكرونه ولا يكفرونه ، ويحمدونه ولا يجحدون نعمه .

روى الترمذي وغيره عن جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا . فقال : ((لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ! كنت كلما أتيت على قوله ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) قالوا : لا بشيئ من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد)) .

وهذا يدل على أن الجن قد علموا أنهم مقصودون بهذا الخطاب ، فلذلك أحسنوا الجواب .

ثم قال سبحانه ((سنفرغ لكم أيها الثقلان)) وفي هذا ترغيب في وعده ، وتخويف من وعيده ، وتهديد شديد من عواقب الذنوب ، ثم قال سبحانه ((فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)) وفي هذا بيان للإنس والجان أن سبحانه لعلمه بهم وبجميع أعمالهم وأقوالهم وما صدر منه لا يحتاج أن يسألهم عنها سؤال استعلام ، بل هو يعلم جميع ذلك ، وأحاط بكل ما هنالك ، وجعل للمجرمين علامات تعرفهم بها الخلائق من أهل الموقف . وعلى هذا يكون السؤال المنفي هو سؤال الاستعلام والاستخبار ، لا سؤال المحاسبة والمجازاة ، فانه ثابت قطعاً قال تعالى : ((فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعلمون)) وقال تعالى : ((وقفوهم أنهم مسئولون)) إلى غير ذلك من الآيات المثبتة للسؤال . وقال بعضهم في قوله تعالى : ((فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)) : هذا وقت البعث والمصير إلى الموقف ، فانهم حينئذ لا يسألون ، ولكنهم يسألون بعد إطالة الوقوف ومرور الشدائد والأهوال ، ثم استشفاعهم إلى الله تعالى أن يريحهم من طول الموقف وكرباته ، وهناك يتقدم للشفاعة العظمى إمام النبيين والمرسلين الذي يقول : ((أنا لها ، أنا لها)) صلى الله عليه وسلم ، فينفض أمر الخلائق للسؤال والحساب .

فالجن مكلفون كما أن الإنس مكلفون ، وإن تكاليف الجن هي تكاليف الإنس من حيث الاجمال ، وإما من حيث التفصيل فقد يختص الجن بأحكام فرعية جزئية دون الإنس ، لاختلافهما في الجنس ، كما نص عليه العلماء . والله تعالى أعلم .

بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن

قال الله تعالى يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟! قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرتّهم

الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ، ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون)) .

فهو سبحانه يسأل كفار الجن والإنس يوم القيامة عن موقف الرسل معهم في الدنيا : هل بلغوهم الدعوة وقصوا عليهم آيات الله تعالى ؟ وهل أنذروكم عذاب الآخرة ،ولقاء يوم القيامة ، وما يحتوي عليه من سؤال وحساب وعذاب وثواب إلى غير ذلك ؟ . فكلهم يقرون ويعترفون بأن الرسل قد بلغت وأوضحت وأنذرت ، ويشهدون على أنفسهم بالكفر وأنهم غرتهم الحياة الدنيا . ثم نبه سبحانه بقوله بعد اعترافهم وإقرارهم باقامة الحجة عليهم ،فقال : ((ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون)) أي بل لا بد وأن يرسل فيهم من ينبههم من غفلاتهم ، ويوقظهم من سكراتهم ، ويخرجهم من ظلماتهم ، حتى لا يبقى عذرا لمعتذر ، ولا حجة لمن يحتج ، حتى إذا عذبهم عذبهم بحق وعدل ، لا جور ولا ظلم [1].

---

[1] وقد أختلف العلماء هل كان في الجن نبي مرسل إليهم منهم ؟ فذهب الجمهور سلفا وخلفا إلى أ ن الرسل الذين أرسلوا إلى الجن هم رسل الإنس ، وأن النبوة والرسالة الإلهية هما من خصائص الإنس كما قال الحافظ السيوطي في لقط المرجان : جمهور العلماء سلفا وخلفا على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي ، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد والكلبي وأبي عبيد ، وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى : ((يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم)) قال : ليس في الجن رسل ، إنما الرسل في الإنس ، والنذارة في الجن ، ثم قرأ قوله تعالى : ((فلما قضي ولوّا إلى قومهم منذرين)) ا ه . يعني أنه سبحانه أثبت لهم مقام الإنذار فقط ، فهو نظير قوله تعالى في الإنس : ((فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . .)) الآية .
فكان كل رسول من الإنس يرسل إلى أقوام خاصة من الإنس والجن ، ثم بعث رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الإنس وكافة الجن .
وذهب الضحاك بن مزاحم وبعض العلماء إلى أن في الجن رسلاً منهم محتجين بقوله تعالى ((يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم)) قال في الفتح : فروى الطبري من طريق الضحاك إثبات ذلك وقال : ومن قال بقول الضحاك احتج بأن الله

وقال سبحانه ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)) وقد أخبر سبحانه في عدة آيات أنه يعذب كفرة الجن كما يعذب كفرة الإنس ، ومن ذلك قوله تعالى : ((للأملأن جهنم م الجنة والناس أجمعين)) . وقال تعالى : ((قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ..)) الآية . فما عذبهم حتى بعث فيهم رسولاً بلغهم الدعوة وأقام عليهم الحجة . فهذا دليل آخر على أن الجن قد بلغتهم الرسل الدعوة وبينت لهم الشريعة المكلفين بها

ومن الأدلة على تبليغ الرسل الدعوة للجن : قوله تعالى إخباراً عن الجن حين سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم : ((قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم)) فهذا القول منهم يدل على أنهم كانوا قد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام ، وأنهم كانوا عالمين بكتاب موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، فلما سمعوا القرآن قالوا إنه مصدق لما بين يديه ، أي لما تقدم من التوراة ، وسائر كتب الله النازلة على الرسل صلوات الله وسلامه على رسولنا وعليهم أجمعين ،

ففي هذا دليل على أنهم كانوا متعبدين بشريعة موسى عليه السلام ، ثم

تعالى أخبر أن من الجن والإنس رسلاً أرسلوا إليهم ، فلو جاز أن المراد برسل الجن رسل الإنس لجاز عكسه ، وهو فاسد . ا هـ كلام الطبري كما في الفتح .
وقد أجاب الجمهور عن قوله تعالى : ((يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم)) بأن المراد ألم يأتكم رسل من مجموعكم وأحد نوعيكم ، لا من جميعكم ومن كل نوع منكم . قالوا: وهذا له نظائر وأشباه في لغة العرب الفصيحة ، ومن هذا قوله تعالى :((ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نوراً)) أي في إحداهن ، وليس في كل سماء قمر .
وقد اتفق الكل على بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع طبقات الإنس والجن بلا خلاف ، كما نقل في الفتح عن ابن عبد ابن البر أنه قال : لا يختلفون أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى الإنس والجن _ أي كافة _ وهذا مما فضل به على الأنبياء . ا هـ صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

راحوا يتعبدون بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن الأدلة على أن الجن قد بلغتهم رسل الله تعالى التكاليف الشرعية وبيّنتها لهم : إخباره سبحانه عن كفار الجن أنهم في النار ، كما أخبر عن كفار الإنس أنهم في النار ، فكلا الفريقين من كفارهما - هو كافر شرعاً ، فما هو الدليل الشرعي على تخصيص كفار الإنس ببلوغ الدعوة لهم دون الجن ؟ !

بلوغ دعوة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لعالم الجنّ

أجمع العلماء على عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عالم الجن ، وبلوغ دعوته لهم ، واستدلوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

أما الدليل على عموم رسالته إلى عالم الجن . فقد قال سبحانه : ((قل أي شيئ أكبر شهادة ؟ قل : الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ..)) الآية . وإن الجن قد بلغهم القرآن بنص القرآن . قال تعالى : ((قل أوحي إلي أن أستمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشد فآمنا به ..)) الآية . وقال تعالى : ((وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ..)) الآية . وقال تعالى : ((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)) . والجن هم من عالم التكليف .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((فضلت على الأنبياء بست - فذكر منها - وأرسلت إلى الخلق كافة)) . فيخل عموم الخلق عالم الجن . قال الحافظ في الفتح : وثبت التصريح بذلك في حديث : ((وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الإنس والجن)) فيما أخرجه البزار . ا ه-

وقد نقل في الفتح عن ابن عبد البر أنه لا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى الإنس والجن .

وقد ثبت بلوغ دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الجن قطعاً ، وكان ذلك عن طريق توافدهم عليه ، واستماعهم إليه صلى الله عليه وسلم ، وعن طريق ذهابه إليهم وقراءته عليهم ، وسؤالاتهم له وجواباته لهم . قال تعالى : ((وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن .. إلى قوله تعالى : يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به)) . والمعنى : أجيبوا داعي الله الذي جاء يدعوكم إلى الله ، وقد دعاكم ، فيحق عليكم أن تجيبوه ، ولولا أنه صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتكم لما وجبت إجابته عليهم . وقال تعالى : ((قل أوحي إليّ أن استمع نفر من الجن .. إلى قوله تعالى : وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به)) أي سمعنا الهدى من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنا به .

وروى مسلم عن علقمة قال : سألت ابن مسعود رضي الله عنه هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا [1] . ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب ! فقيل : استطير ؟ ! أو اغتيل ؟ ! - استفهام تعجبي - قال ابن مسعود : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذ هو جاء من قبل حراء ، فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم

---

[1] وقد ورد أيضاً في حديث آخر أن ابن مسعود سئل : أكنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ فقال : أجل . كما رواه ابن جرير وأبو نعيم . وفي المسند عن ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ، وفي رواية : أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن . فهذه الروايات لا تنافي ما نحن فيه ، لأن القصة متعددة كما نبه على ذلك المحققون .

، فقال صلى الله عليه وسلم : ((أتاني داعي الجن ، فذهبت معهم ، فقرأت عليهم القرآن)) . قال ابن مسعود ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه عن الزاد فقال : ((كل عظم ذكر اسم الله عليه يقه في أيديكم أوفر ما يكون لحما ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم)) وروى أحمد في مسنده نحوه . وفي مسند أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، إذ قال : ((ليقم معي رجل منكم)) وفي رواية أخرى : استبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي بعث إلي - فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودةً مجتمعة ، قال فخط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال : ((قم ههنا حتى آتيك)) فقمت ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فرأيتهم يتنورون إليه [1]، قال : فسمر معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً طويلاً حتى جاءني الفجر . وفي رواية أخرى فجعلوا يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي يتزاحمون عليه - وجعل صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم [2].

وتقدم حديث الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن على الجن

أصناف الجن وافتراقهم على طرائق

قال الله تعالى إخباراً عنهم ((وأنا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا - إلى قوله تعالى : وأنا منا المسلمون ، ومنا القاسطون [3]،

---

[1] أي يتطلعون إلى رؤيته صلى الله عليه وسلم من بعيد .

[2] وقد أورده الامام أحمد في مسنده بأسانيد متعددة موزعة في مسند ابن مسعود .

[3] القاسط : هو الظالم الجائر الناكب عن الحق ، بخلاف المقسط ، فهو العادل المستقيم على الحق .

فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً))
فقد أخبر سبحانه أن الجن على طرائق قدد أي : طرائق متقطعة ، ومشارب متفرقة ، وآراء متعددة . فمنهم الصالح ، ومنهم الطالح ، ومنهم المسلم ومنهم الكافر ، ومنهم المتبع ومنهم المبتدع ، ومنهم اليهودي والنصراني والمجوسي ، إلى غير ذلك ، كما هو في الإنس .
فالمسلمون منهم يقال لهم : الجن المسلمون ، وصلحاؤهم يقال لهم صلحاء الجن ، والكفار منهم يسمون شياطين [1] الجن ، وأول شيطان جني هو إبليس [2] كما قال فيه سبحانه : ((كان من الجن ففسق عن أمر ربه)) .
وهذا قول كثير من العلماء والعارفين ، واستدلوا على أنه كان من الجن وليس ملكاً بوجوده من الأدلة :
أولاً - إن إبليس مخلوق من النار ، قال تعالى إخباراً عنه : ((خلقتني من نار وخلقته من طين)) والملائكة مخلوقون من النور كما تقدم في حديث مسلم .
ثانياً - إن إبليس له ذرية . قال تعالى : ((أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني
وهم لكم عدو ؟ !)) .
وأما الملائكة فلا ذرية لهم ، لأنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ولا شهوة لهم [3] .

---

[1] جمع شيطان ، مأخوذ من : شطن بمعنى بعد ، أو من : شاط بمعنى احترق ، فوزنه ((فيعال)) أو ((فعلان)) .
[2] انظر كلام الشيخ الأكبر رضي الله عنه . قال الحافظ ابن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب ، فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جني ، فإن أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر ، والجمع عمّار ، فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فإن خبث وتعرض للأذى والوسوسة قالوا شيطان ، فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا عفريت . ا ه .
[3] انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

ثالثاً - إن إبليس كان من الجن بنص القرآن ، والجن ليسوا ملائكة ، لقوله تعالى : ((ويوم نحشرهم جميعا ، ثم نقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟! قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن)) فدلت الآية على أن الجن جنس آخر غير الملائكة .

رابعاً - إن الملائكة عليهم السلام معصومون عن المخالفة والمعصية ، ويفعلون ما يأمرون ، وهم بأمر الله تعالى يعملون ، وإن إبليس خالف أمر الله تعالى بالسجود لآدم ، ولم يعمل ما أمره الله تعالى به .

وأما من قال من العلماء بأن إبليس من الملائكة : فاحتج بأنه لو لم يكن ملكاً لما تناوله الأمر بالسجود لآدم ، لأن الأمر بالسجود لآدم كان موجهاً للملائكة بنص ((وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)) فلو لم يكن ملكاً لما كان تخلفه عن السجود لآدم يوجب طرداً وإبعاداً حينئذ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء القائلون بأن إبليس من الجن ، أجابوا عن قوله تعالى : ((فسجدوا إلا إبليس)) بأنه إستثناء من جنس المأمورين ، لا من جنس الملائكة ، ويكون التقدير : وإذ قلنا للملائكة ولإبليس : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس . تقول : أمرتُ إخوتي وعبدي بكذا ، فأطاعوني إلا عبدي ، فالعبد ليس من الإخوة ، ولا داخلاً فيهم إلا من حيث شمله الأمر بالفعل معهم . هذا وإن قوله تعالى : ((ما منعك ألاّ تسجد إذا أمرتك)) يشير إلى أ ن هناك أمراً موجهاً عليه بالسجود . وأجابوا أيضاً بأن استثناءه من الملائكة إستثناء من غير الجنس فهو منقطع [1] .

موقف الشيطان من الإنسان

قال الله تعالى : ((إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً)) . فالشيطان عدوّ

---

[1] وثمة أجوبة متعددة تحتاج إلى تفصيل .

للإنسان مبين ، فينبغي للإنسان أن يقف معه موقف المعادي الحزر من شره ومكره . ومن شدة عداوة الشيطان للإنسان أنه يبذل جميع جهوده وطاقاته في تضليل الإنسان وتزيين الكفر والطغيان والفساد له ، قال تعالى : ((فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، فهم لا يهتدون)) وقال تعالى ((تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم أي كفّرهم وفسقهم .

ومن عداوته أنه يعد الإنسان بالفقر واليأس مما يؤمله ويرجوه ، ويأمره بالفحشاء ،قال تعالى : ((الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء)) . كما وأنه يسعى في إزعاج الإنسان وتحزينه ،قال تعالى : ((إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا)) . كما وأنه يسعى في إلقاء العداوة بين بني آدم وإثارة البغضاء فيهم بشتى الأسباب القولية والعملية ، قال تعالى : ((إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسرة ويصدكم عن ذكر الله)) . وقال تعالى : ((إن الشيطان ينزغ بينهم)) أي يوقع الشرور ويفسد ذات البين .

كما وأن من شأن الشيطان أن يقذف في القلب الأباطيل والظنون السيئة ، ويوسوس ويفسد .

ففي الحديث عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ثم قمت لأنقلب - أي لأرجع - فقام معي ليقلبني ، وكان مسكنهما في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي)) فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! فقال : ((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني

خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً - أو قال شيئاً -)) [1] . وقد نبه الله تعالى عباده إلى أن خطر الوساوس الشيطانية كبير وشرها مستطير ، وأنه ينبغي للعبد أن يلجأ إلى ربه ، عائذاً به من همزات الشياطين ، قال تعالى ((وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون)) . وقال تعالى : ((قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس)) .

ومن وسوسته ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)) . أي فليترك التفكير في هذا الخاطر الباطل ، وليفكر بالأمر الحق ، لئلا يستحوذ عليه الشيطان بتلك الوسوسة الفاسدة والتخيلات الكاسدة ، فانها من باب القلق والتشويش .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فاذا قالوا ذلك فقولوا : الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفُواً أحد ، ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم)) . يعني أن ذلك وسوسة باطلة ،لاموقع لها من الاعتبار والقبول في موازين العقول ، فان الله أحد واحد ، لا أحد قبله ، إذ أن الواحد العددي النسبي لا واحد قبله ، فما ظنك بالواحد الأحد المطلق

---

[1] رواه البخاري ومسلم وابو داود ، ونقل الكرماني عن الإمام الشافعي أنه قال في معنى الحديث : أنه صلى الله عليه وسلم خاف عليهما الكفر لو ظنا به التهمة فبادر إلى إعلامهما بمكانها نصيحة لهما في الدين ، قبل أن يقذف الشيطان في قلوبهما أمراً يهلكان به .

الذي له الوحدة الذاتية المطلقة سبحانه وتعالى ؟ ! .

ومن شر الشيطان أنه يحاول أن يكفر الإنسان بأنواع من المكفرات ، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه ف البدع الضالة ، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه في كبائر الذنوب ، فان عجز عنها حاول أن يوقعه في صغائر الذنوب ، فإن عجز عنها حاول أن يشغله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب عليها ، فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الأعمال ، فإن عجز عن ذلك حاول أن يشغله بالعمل المفضول عن العمل الأفضل ، فإن عجز عن ذلك كله حاول أن يشوش على المؤمن فكره ويعكر عليه صفاءه .

ولذلك ينبغي للعبد أن يعوذ بربه ويتحصن به من شرور الشياطين .وإن للتحصن والتحرز من وساوس الشياطين ومضارهم ومفاسدهم أسباباً واقيتاً ، أرشد الشارع الحكيم إليها وإلى إيقاعها في مواقعها :

أحدها : التعوذ بالله تعالى ، قال تعالى : ((وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله ، إنه هو السميع العليم)) . أي السميع المجيب لاستعاذتك ، العليم بحالك وبما يحفظك من نزغات الشيطان [1] .

---

[1] وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أمته وجوهاً من التعوذ حسب مقتضى الحالات التي هم فيها :

فمن ذلك التعوذ حالة الغضب ،ففي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد قال : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان ، فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد ..)) الحديث .

ومن ذلك التعوذ عند رؤيا يكرهها ،كما في الصحيحين عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا رأى أحدكم في منامه الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها ، وليتحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان ، فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره ، وفي رواية لمسلم : فليصق عن يساره ثلاثاً ، وليتعوذ بالله من الشيطان ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه)) .

ثانيها : التسمية ، فإنها وقاية من شر الشيطان [1].ومن أعظم التعويذات

ومن ذلك التعوذ عن إرادة الخلاء ، روى أبو داود وابن ماجه بسند حسن عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن هذه الحشوش _ كناية عن الخلاء _ محتضرا _ أي يحضرها الشياطين _ فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : ((أعوذ بالله من الخبث والخبائث)) . وفي الصحيحين : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء يقول : ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)) . قال في المرقاة : يعني ذكران الشياطين وإناثهم . وفي المسند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولها عند النوم من الفزع : ((بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون)) قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه . قال أبن كثير : ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ا هـ . وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين : ((أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة)) .

[1] فمن ذلك التسمية على الطعام ، وعند دخول الرجل بيته ، وخروجه منه ، روى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء)) . وفي السنن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((من قال إذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقال له حسبك ، هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان)) .

والتسمية عند إرادة الجماع ، كما في الصحيحين والمسند عن أبن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن قضي بينهما ولد من ذلك : لم يضره الشيطان أبدا)) أي لم يضره بإضلاله وإغوائه ببركة التسمية ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ، ولا يلزم منه عصمة الولد من الذنب ، بل إنه يكون حسن العاقبة ، ويموت على الإيمان ، وفي هذا بشارة عظمى. ا هـ ملخصاً من فيض القدير .

ومن ذلك التسمية على أنية الطعام ، وعند إغلاق الباب ، وإطفاء المصباح ونحو ذلك ، كما في الصحيحين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا إستجنح الليل _أو كان جنح الليل _ فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم ، وأغلق بابك ، واذكر اسم الله ، فإن الشياطين لا يفتح بابا مغلقاً ، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك _ أي شد عليه رباطه _ واذكر اسم الله ، وخمر إناءك _ أي ضع عليه غطاء

الإكثار من قراءة المعوذات [1] . فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فأخذ بهما وترك ما سواهما [2] .وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ثم قرأ : ((قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس)) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات . وقال صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر : ((اقرأ المعوذات في دبر كل صلات)) أي لما فيها من الحفظ والوقاية .

_ واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه شيئاً ، وأطفئوا المصابيح فإن الفويسقة _ أي الفأرة _ ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت)) .

[1] وهي سورة الفلق والناس والإخلاص ، من باب التغليب ، أو إن أقل الجمع إثنان .

[2] رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والضياء في المختارة وصححه ، كما في شرح المواهب ، وقال في المواهب : وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين ، بل على الأولوية ، ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما ا ه أي كما تقدم في الأحاديث الصحيحة .

وإنما كان صلى الله عليه وسلم يكثر من التعوذ بهما ، لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه في الأشباح والأرواح ، والاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب _ وهو الليل إذا أظلم ، والقمر إذا غاب _ تتضمن الاستعاذة من شر ما انتشر فيه من الأرواح الخبيثة ، والاستعاذة من شر النفاثات تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الساحرة وسحرهن ، ومن شر حاسد تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الخبيثة المؤذية .

سورة قل أعوذ برب الناس تتضمن الاستعاذة من شر الإنس والجن المشار إليه بقوله الوسواس أي الذي يوسوس للآدمي عند غفلته عن ذكر الله تعالى . الخناس : الذي يخنس عند ذكر الله تعالى ، من الجنة والناس : بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي . قال تعالى : ((شياطين الإنس والجن)) أو من الجنة : بيان للشيطان الموسوس ، والناس : عطف على الوسواس ا ه ملخصا من شرح المواهب .

وفي هذا تنبيه إلى خطر الوسواس وكبير إفساده وضرره ، وأن الإنسان ينبغي له أن يعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، ليحفظه من شر الوسواس الخناس ، وإذا لم يفعل ذلك فهو في مهاوي الضلال ومهامه الهلاك .

وفي السنن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة .

ثالثها - قراءة آية الكرسي ، وتقدم عن أبي هريرة في الصحيح أن من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

وكذلك قراءة خاتمة سورة البقرة ، فيها وقاية من الشيطان . فروى الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليل فيقربها شيطان)) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة - وفي رواية : في ليلته - كفتاه)) أي كفتاه شر الشياطين والآفات ، ومن المساوئ والمكاره ، وقيل : معناه حسبه بهما فضلاً وأجراً ، أو إنهما أقل ما يجزئ من القراءة في قيام الليل .

هذا وإن قراءة سورة البقرة في البيت تنزل عليه الخير والبركة ، وتبعد عنه الشياطين وتحفظ أهل البيت من السحرة ، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة)) . يعني أن المواظبة على تلاوتها والعمل بها نماء وبركة في العمل والعمر والرزق ، وترك تلاوتها حسرة وفوات خير وبركة ، ولا يستطيعها البطلة أي السحرة ، لأن لها سلطاناً وقوة .

وقد ورد أن تلاوة القرآن تتنزل لها الملائكة كما تقدم في الأحاديث

الصحيحة ، ومتى نزلت الملائكة انهزمت الشياطين ، شيما إذا قرئ القرآن جهراً في الليل ، فقد روى أبو داود عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر : ((مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك)) فقال عمر : يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان . فقال له صلى الله عليه وسلم : ((اخفض شيئاً)) .

رابعها - من جملة ما ورد لأجل التحفظ والتحرز من شرور الشياطين ، ما رواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد - وفي راوية للبزار : يحيي ويميت - وهو على كل شيئ قدير في كل يوم مائة مرة : كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)).

خامسها - الإكثار من ذكر الله تعالى ، فان ذكر الله تعالى حصن حصين للذاكر ، كما روى الترمذي وأحمد من حديث الحارث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا ، فذكر الحديث وقال في الخامسة : وأمركم أن تذكروا الله تعالى ، فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً ، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، قال : وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى)) .

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس مرفوعاً : ((إن الشيطان واضع خطمه - أي فمه - على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي إلتقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس)) . وقال ابن عباس في قوله تعالى : ((من شر الوسواس الخناس)) : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ،

فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس . ا هـ . وذلك لأن للذاكر معية إلهية خاصة ، كما جاء في صحيح ابن حبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه)) . ولأن ذاكر الله تعالى تحف به الملائكة فكيف يستولي عليه الشيطان ؟ ! وقد فصلنا ذلك في ما سبق . اللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيرا .

ومن أجمع التعاويذ وأقواها تأثيرا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((رأيت ليلة أسري بي عفريتا من الجن يطلبني بشعلة من نار ، كلما التفت رأيته ، فقال لي جبريل عليه السلام : ألا أعلمك كلمات تقولها فتطفئ شعلته ويخر لفيه - أي يقع على وجهه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى . فقال جبريل : قل أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات ، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شرما ذرأ في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن [1])) .

فهذه جملة موجزة من الأسباب الواقية من شرور الشياطين ووسوستهم ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى كتب السنة النبوية .

مصير عالم الجن يوم القيامة

أجمع العلماء على أن كفار الجن هم في النار يوم القيامة ، لورود ذلك بنص

---

[1] رواه مالك عن يحيى بن سعيد مرسلاً ، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود بنحوه ، ورواه أحمد وابو يعلى ، ولكل منهما اسناد جيد محتج به ، عن عبد الرحمن بن خنبش التميمي رضي الله عنه ، وقد سئل كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الجن ؟ فذكر الحديث وقال في آخره : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تبارك وتعالى . ا ه كما في ترغيب المنذري .

الآيات القرآنية . : ((ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين)) وقال تعالى : ((قال ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس في النار)) . وقال تعالى : ((ولقد ذرأنا لجهنَّم كثيراً من الجن والإنس)) وقال تعالى : ((فكُبْكِبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس أجمعون)) وقال تعالى إخباراً عن الجن ((وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحرَّوا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)) .

وهذه الآيات تدل على أن الجن مكلفون بالشرائع التي جاءت بها الرسل ، ووجوب إتباعهم لهم ، وقد تقدم الكلام على عموم بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الجن ، كما عمت كافة الإنس ، وأنه يجب على الجن طاعته صلى الله عليه وسلم كما يجب على الإنس .

فان قيل : إن الجن خلقوا من نار ، فماذا تؤثر فيهم نار الشهاب في الدنيا ونار العذاب في الآخرة ؟

فقد أجاب المحققون عن ذلك بأنه لا يلزم إذا كان الجن خلقوا من نار أ ن يكونوا ناراً ،أو أن النار لا تؤلمهم ، فان الإنس خلقوا من تراب ، ولكنهم ليسوا تراباً ، بل أنشأهم الله تعالى وطورهم وصورهم ، ولو أن إنسياً أهيل عليه التراب أو هدم عليه بيت من التراب لاستغاث من الأوجاع والآلام ، وهكذا الجن خلقوا ممن نار ولكنهم ليسوا بنار ، بل أنشأهم الله تعالى وطورهم وصورهم ، وإن النار تؤلمهم وتحرقهم .

وأما حكم مؤمني الجن في الدار الآخرة : فالجماهير على أنهم في الجنة ، وذهبت طائفة من العلماء إلى أن ثواب المؤمنين منهم هو نجاتهم من النار ، ثم يكونون ترابا ، أو يبقون على الأعراف .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى إخباراً عنهم : ((يا قومنا أجيبوا داعي الله

وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم)) . فجعل غاية ثوابهم إجارتهم من العذاب الأليم .

وقد استدل الجماهير على أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافر الجن في النار ... بقوله تعالى : ((يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي)) ففي هذا دليل على أن الله تعالى أرسل الرسل صلوات الله عليهم إلى الإنس والجن ، والرسل إنما جاءوا مبشرين ومنذرين ، كما قال تعالى ((رسلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)) وقد ترجم البخاري على ذلك في صحيحه فقال : باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم ، لقوله تعالى : ((يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ..)) الآية . بخساً : نقصاً . قال مجاهد : ((وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)) . وقال كفار قريش : الملائكة بنات الله ، وأمهاتهم بنات سروات الجن . قال الله تعالى ((ولقد علمت الِجنَةُ إنهم لمحضرون)) سحضرون للحساب . ثم أورد حديث أبي سعيد بالسند المتصل : ((إذا كنت في غنمك وباديتك فأذنَّت بالصلاة ، فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيئ إلا شهد له يوم القيامة)) قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ .

وقال تعالى إخباراً عن الجن : ((وأنَّا لما سمعنا الهدى آمنا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً)) . فالبخس هو النقص ، والرهق هو الظلم. فالبخس المنفي هو نقصان الثواب ، والرهق المنفي هو الظلم والزيادة في العقوبة على الإساءة ، فهو سبحانه لا ينقص من ثواب محسنهم ، ولا يزيد في سيئات مسيئهم . وهذا نظير قوله تعالى ((ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً)) . وبذلك استدل البخاري على

ثواب الجن المؤمنين .

وقال تعالى في سورة الرحمن : ((ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان)) . فهذه الآيات تتناول صنفي الجن والإنس ، بدليل أن ((من)) عامة ، وبدليل قوله ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) فإنه خطاب للإنس والجن . وقد نقل عن الإمام مالك أنه استدل على ثواب مؤمني الجن .

وقال تعالى : ((فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان)) . وقال تعالى : ((حور مقصورات في الخيام . فبأي آلاء ربكما تكذبان . لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . فأي آلاء ربكما تكذبان)) . فهذا مما يدل على أن مؤمني الجن في الجنة .

هذا وقد أجملنا البحث حول عالم الجن ، وذكرنا بعض ما فيه الكفاية ، بعدما فصلنا الكلام على عالم الملائكة عليهم السلام .

والله تعالى نسأل ، وبرسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم نتوسل ، أن يدخلنا في زمرة عباده الذين قال فيهم : ((أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)) .

وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين عدد خلق الله تعالى ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من تدوين هذا الكتاب يوم الإثنين الموافق/ 12/ من شهر صفر/ 1392/ هـ- .

الفهرس

3 المقدمة ، وفيها : بيان الحكم من الإيمان بالملائكة عليهم السلام .

10 وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام .

19 حقيقة الملائكة عليهم السلام .
23 تمثلات الملائكة،وفيه : مجيء الملائكة ضيوفاً إلى سيدنا إبراهيم وإكرامه لهم من وجوه عديدة .
26 تمثلات جبريل عليه السلام حسب المناسبات .

عالم المثال

32 حكم الجسم المثالي،والأدلة عليه،وبحث حول مجيء ملك الموت إلى سيدنا موسى لقبض روحه .
36 تمثلات المعاني بصور مثالية ، وفيه : تمثل القرآن ، والرحم .
40 تمثلات الأعمال في عالم القبر وما وراءه من عوالم الآخرة .
43 تمثلات الأقوال : التسبيح ، والتحميد ، وقراءة القرآن .
46 تمثلات الأموال : تمثل المال الذي لم تؤد زكاته .
48 تمثلات أيام الدنيا يوم القيامة .

49 عبادة الملائكة وخشيتهم من الله تعالى .
50 صلاة الملائكة لله تعالى .
52 خوف الملائكة من الله تعالى ، وفيه : شرح أسباب الخوف .
56 تكريم الله تعالى للملائكة ، وذكره لهم في مناصب العز والشرف

رؤساء الملائكة عليهم السلام

60 جبريل : صفاته : رسول ، كريم ، ذو قوة ، مكين ، مطاع ، أمين ، روح القدس .
65 من وظائفه : تنزله بالشرائع على الرسل عليهم الصلاة والسلام .
68 تأييد الله تعالى رسله بجبريل عليهم الصلاة والسلام .

70 كفاية الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام شر المستهزئين ، بواسطة جبريل .
72 تأييده تعالى أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم بجبريل .
73 تحبيب الله تعالى جبريل بأحبابه المؤمنين الصالحين .
74 تهديده تعالى المعاندين لرسله بواسطة جبريل .
57 أخذه سبحانه بالعقوبات لتاركي الشرائع بواسطة جبريل .
81 القوى الملكية والعظمة الجبريلية .
85 خشية جبريل من الله تعالى .
86 تلقي جبريل الوحي عن الله تعالى واستغراق الملائكة من هيبة الوحي .
87 إكرام رسول الهح صلى الله عليه وسلم لجبريل .
88 إسرافيل عليه السلام وبعض وظائفه .
94 حول ميكائيل عليه السلام .
96 حملة العرش المجيد : عددهم ، عظمتهم ، هيبتهم ، وظائفهم .
106 الملأ الأعلى ، الندي الأعلى ، الرفيق الأعلى .
112 الكروبيون . 113 المهيَّمون 114 مقام من عنده .
116 خزنة الجنة ، ورئيسهم رضوان ، وبيان لم سمي ((رضواناً))
121 خزنة النار ، ورئيسهم مالك ، وصفاتهم .
162 **أصناف الملائكة عليهم السلام**
130 مواقف الملائكة من الإنسان بالنسبة لأموره التكوينية أو الدينية :
130 الموكلون بتطوير النطفة ، ونفخ الروح فيها .
132 تعداد وشرح الكتابات الإلهية المشتملة على جميع الأقوال والأعمال .

136ت شرح حديث ((فحج آدم موسى)) .
138ت بيان مطول أن كتابة المقادير على الإنسان لا تنفي اختياره لأفعاله .
141 الملائكة الموكلون بكتابة جميع أقوال بني آدم وأفعاله ، وهل يكتبون على الإنسان كلامه المباح
145 اطلاع الملائكة الكاتبين على ما في قلوب بني آدم ، وماذا يعملون بعد موت الموكلين به .
152 بيان الحكم في كتابة أعمال بني آدم .
160 الموكلون بحفظ بني آدم من المضار ، بإذن الله تعالى .
162 القرين من الملائكة يدل ابن آدم على الخير .
163 ملائكة اللمة بابن آدم ، وفيه : أقسام الخواطر التي ترد على القلوب وشرحها .
168 **حضور الملائكة مجالس العبادات**
شهودهم يوم الجمعة ، وصلاته ، والصلاة ، والمصلي ، ومجالس الذكر والقرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: .
177 إكرامهم للذاكرين الله والتالين للقرآن،وتنزلهم بالسكينة على قارئه.
181 حفهم طالب العلم ، ووضعهم له أجنحته ، وشرح هذا الوضع .
185ت كلمة مسهبة في إكرام الله لأولى العلم ، وبيان ما هو العلم النافع .
187 بيان من تصلي عليه الملائكة .
191 دنوّ الملائكة ممن رقت قلوبهم بالوعظ والتذكير،ومن أماكن القرآن ،ومن الذاكرين والمذكرين .
196ت تنبيه الشيخ الأكبر رضي الله عنه للواعظ أن يتحرى الصحة في تذكيره ووعظه .

198 ولاء الملائكة وتنزلهم على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .
202 ما تتأذى منه الملائكة وما تنفر منه .
205 من تلعنه الملائكة .
207 ملائكة التوفية . وفيه : حديث البراء في إكرامهم الروح الطيبة ، وإهانتهم الروح الخبيثة .
215 ملائكة السؤال في القبر ، وعمّ يكون السؤال ؟ .
220 مواقف الملائكة ووظائفهم المنوطة بالأكوان المحيطة بالإنسان : الموكلون بالجبال ، وبالسحب يسوقونها حيث يأمرون ، وبالرياح .
223 **عصمة الملائكة من المعصية**
226 بيان أن لا ذنب منهم في قولهم ((أتجعل فيها من يفسد فيها . .)) .
229 شرح قصة هاروت وماروت ، وبيان انه ليس فيها ما يخل بعصمة الملائكة . وبه يتم الكلام عن الإيمان بالملائكة عليهم السلام .
حول عالم الجن
234 إثبات الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام لعالم الجن .
235 خلق الجن ، وفيه : مادتهم الخلقية ، وبيان أنه ليس إبليس أباً أولاً للجن .
237 صفاتهم الخلقية ، وتعريفهم ، وشرح التعريف .
240 إخباره تعالى عن قوة الجن .
244 مطالبة الجن بالتكاليف الشرعية ، مع تفصيل الأدلة القرآنية على ذلك .
251 بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ، وهل في الجن نبي مرسل إليهم منهم ؟
254 بلوغ دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم لعالم الجن والأدلة على ذلك .

258 أصناف الجن وافتراقهم على طرائق ، وفيه الأدلة على أن إبليس من الجن لا من الملائكة .
261 موقف الشيطان من الإنسان ، وفيه:وجوه عداوة الشيطان للإنسان.
264 تعداد جملة موجزة مما يحفظ الإنسان من الشيطان ، كل التعوذ ، والتسمية . . وتعويذات نبوية نافعة جامعة .
273 مصير عالم الجن يوم القيامة ، وبيان أن النار تؤلمهم ، وإن كانوا قد خلقوا منهم .
274 الجماهير من العلماء على أن مؤمني الجن في الجنة ، وأدلة ذلك .